الأصول العقدية في الأحاديث القدسية

تأليف

إحسان عبد الغفار ميرزا

المكتبة المكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأصول العقدية
في
الأحاديث القدسية

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

المكتبة المكية
حي الهجرة - مكة المكرمة - السعودية - هاتف وفاكس: ٥٣٤٠٨٢٢

إهـــــداء

- إلىٰ زوجي الغالي وسندي بعد الله
- إلىٰ أولادي الأعزاء
- إلىٰ كل من تنسّم نسائم الحق، وأشرق بنور العدل والصدق
- إلىٰ كل من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا
- وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً
- أهدي هذا الكتاب

الباحثة

إحسان عبد الغفار مرزا

انتهيت من كتابته في ١٤٢٣/٩/٢٥هـ

المقدمـــــة

لقد كان ولا زال منهج أهل السنة والجماعة منهجاً وسطاً سهلاً شاملاً لكل الفئات ممكن التطبيق لكل المستويات، إذ إنه يتعامل مع فطرة الفرد وأولوياته، وبالتالي يوصله إلى سعادة الحياة والروح، لقد اعتمد هذا المنهج على الكتاب والسنة والإجماع فأدلتها نقلية ثابتة لأصول واضحة، ولم يمنع هذا المنهج الاستدلال بالعقل إذا كان هذا الاستدلال مستنبطاً من الأدلة النقلية ومنبثقاً منها، أما الاستدلال العقلي القائم على فلسفات ومنطقيات في الأصول العقائدية فقد أدى بالأمة إلى الاختلاف والضلال، بل أدى إلى التأويل الباطل وما جره على الأمة من ويلات عدة.

ومن منابع السنة الشريفة (الأحاديث القدسية) وهي مصدر من مصادر الاستدلال في العقائد إذا كان الحديث صحيحاً أو حسناً. وإن المتطلع للمواضيع التي تناولتها الأحاديث القدسية يجد أنه دستور الأخلاق والفضائل وأساس التقويم والتوجيه ومادة الحث والتوجيه إلى مرضاة الله، فلم يأتِ في بيان الشرائع ولا في تفاصيل الأحكام حتى ما جاء فيها من العقائد فإنه جاء على سبيل الوعظ والتربية، لذا أحببت أن أقوم بدراسة هذا الأصل الهام مركزة الجهود على ما ورد فيه من أصول عقائدية، فأستخرج الأصل العقدي من المعنى العام للحديث إن لم يوجد ما يشير صراحة إلى هذا الأصل، مقتصرة في ذلك على الأحاديث التي تدل على المبتغى دون غيرها، لذا فقد قمت بتصنيف هذه الأحاديث أولاً حسب دلالة موضوعاتها ومن ثم استخراج الأصول العقدية منها، وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التالي:

١ ـ الاعتماد والمعول على الأحاديث الصحيحة والحسنة فقط وترك الضعيفة تماماً.

٢ ـ نظراً لوجود أحاديث كثيرة تفيد نفس المعنى وكلها صحيحة، فإني أورد حديثاً واحداً في الباب وأشير إلى مكان الباقي في الكتب الحديثية، أورد المتن أحياناً في الهامش إذا رأيت ذلك مهماً.

٣ ـ هناك أحاديث يوردها المحدثين في مواضيع شتى كالعبادات والفضائل الخلقية ولكني أوردها لأستخلص الأصل العقدي منها كصفة من صفات الله ﷻ أو غير ذلك لمنهجية البحث.

٤ ـ قد يكون الحديث ليس قدسياً أي رواه النبي ﷺ لكن في متنه كلام قدسي عن الله تعالى، فأذكره على اعتبار الكلام القدسي.

٥ ـ كل الأحاديث القدسية تدل على إثبات موضوع عقدي مهم وهو إثبات صفة الكلام لأن فيها لفظ: **«قال الله تعالى...»** وليس من المعقول أن أضع جميع الأحاديث القدسية عند إثبات هذه الصفة طبعاً. ولكني أحببت الإشارة إلى هذا مع وضع إثبات الأحاديث التي فيها لفظ الكلام صراحة ابتداء ثم أورد بعض الأحاديث التي تثبت هذه الصفة ضمناً أي بلفظ القول.

٦ ـ طريقتي في البحث أن أورد الحديث القدسي تحت عنوان جانبي، ثم أورد الأصل العقائدي تحت عنوان أيضاً معتمدة في تفصيله على كتب العقائد عن السلف الصالح مع عدم الإطالة في مناهج الفرق الأخرى إنما الإشارة فقط لمنهجية البحث.

ويحتوي هذا البحث على أربعة فصول، كل فصل يمثل أصلاً عقائدياً، ويتفرع من كل فصل مباحث على النحو التالي:

* **الفصل الأول:** التوحيد والإيمان بالله ﷻ.

المبحث الأول: ما ورد في التحذير من الشرك وفضل التوحيد.

المبحث الثاني: التحذير من الرياء وفضل الإخلاص.

المبحث الثالث: إثبات قضية الخلق والتحذير من الوسوسة في العقائد.

* **الفصل الثاني:** الإيمان بأسماء الله وصفاته ﷻ.

المبحث الأول: صفات الله ﷻ الذاتية.

المبحث الثاني: صفات الله ﷻ الفعلية.

المبحث الثالث: رؤية الله ﷻ.

* **الفصل الثالث:** الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الأول: الإيمان بالبعث.

المبحث الثاني: الإيمان بالجنة والنار.

المبحث الثالث: الإيمان بالسؤال العرض ـ الصراط ـ الميزان ـ الشفاعة ـ.

* **الفصل الرابع: بقية أركان الإيمان.**

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثالث: الإيمان بالرسل.

تمهيـــد

تعريف الحديث القدسي: هو ما رواه النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى على غير النسق القرآني ونظمه وإعجازه، ولكنه أشبه في نظمه وأسلوبه بسائر الحديث النبوي[1].

وهو يعد في جملة السنة النبوية لكون راويه هو النبي ﷺ وله صيغ متعددة، وهو منقول بطريق الآحاد يطرأ عليه ما يطرأ على الأحاديث من صحة وحسن وضعف ووضع.

۞ صيغه:

أكثر الصيغ التي يعرف بها الحديث القدسي وأشهرها ما كان صريحاً في بيان هذه النسبة مثل قول النبي ﷺ: «قال الله..، أو يقول الله..، أو قال ربكم..، أو يقول ربكم..، أو أوحى الله..، ..» أو ما شابه ذلك من الصيغ التي تثبت القول للرب تعالى عن طريق إسناد فعل القول أو ما يؤدي معناه إسناداً صريحاً إليه.

وهناك صيغ أخرى يعرف بها الحديث القدسي عن طريق دلالة المعنى، التي يشير إليها نهاية الحديث أو طرفاً منه مثل حديث أنس بن مالك قال: «إذا كان يوم القيامة دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وبقي الذين عليهم المظالم (نادى مناد تحت العرش): يا أيها الجمع

---

(١) انظر: مقدمة كتاب الأحاديث القدسية ١/٥ وما بعدهما، وانظر: الطحان: تيسير مصطلح الحديث ص١٢٧، وانظر: المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية لابن القاسم المقدسي ص٢٧ وما بعدهما، تحقيق محيي الدين مستو، ود.محمد الخراوي.

تتاركو؛ المظالم (وثوابكم علي)»[1]. فقوله ثوابكم علي وضحت من هو المنادي، فلا يصح أن يكون هذا النداء إلا لله سبحانه هو الذي يجزي بالثواب وحده؛ وغير ذلك من الدلالات.

۞ موضوعه وأغراضه:

الحديث القدسي لا يتعرض لتفصيل الأحكام الفقهية ولا لبيان الشرائع التعبدية إنما يركز على بناء النفس الإنسانية وتقويمها وتربيتها فهو يدور في فلك الوعظ والتربية والتوجيه. لذا فإنه كثير التداول عند العامة ومحبب عندهم ويكثر فيه الزيادة والنقصان.

۞ الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

١ ـ من حيث نسبته:

القرآن كلام الله ﷻ أوحى به إلى رسوله لفظه ومعناه.

والحديث النبوي جزء من الوحي لكن بمعناه دون لفظه فهو وحي لكن لم يرفعه النبي ﷺ إلى الله ﷻ ولم يقل في حديثه قال الله ﷻ.

أما الحديث القدسي فهم من كلام الله ﷻ رفعه النبي ﷺ إلى الله ﷻ، لكن اختلف العلماء في كونه من عند الله بمعناه ولفظه، أم أن معناه ومضمونه من عند الله ولفظه من عبارة النبي ﷺ.

٢ ـ كيفية التلقي:

لا تختلف عن كيفيات الوحي المعروفة.

صلصلة الجرس ـ النفث في الروع ـ في صورة رجل ـ إتيان الملك في النوم ـ أن يكلمه الله في اليقظة كما في ليلة الإسراء والمعراج.

---

(١) الحديث ضعيف (انظر: كنز العمال ١٤/ ٣٨٩٩١).

٣ ـ مزيته وفضله:

الحديث القدسي مثل الحديث النبوي في الفضل بعد كتاب الله، شرفهما من شرف الوحي.

٤ ـ موضوعه:

الحديث القدسي لم يأت في بيان الشرائع إنما في التقويم والتربية والتوجيه[١].

○○○○○

(١) انظر: مقدمة كتاب الأحاديث القدسية ١/٥ وما بعدهما، وانظر: مقدمة جامع الأحاديث القدسية للضبابطي ١/٢٧ ـ ٣٣.

الفصل الأول

التوحيد والإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ

ويتضمن عدة مباحث:

المبحث الأول: ما ورد في التحذير من الشرك وفضل التوحيد.

المبحث الثاني: التحذير من الرياء وفضل الإخلاص.

المبحث الثالث: إثبات قضية الخلق والتحذير من الوسوسة في العقائد.

المبحث الأول

التحذير من الشرك وفضل التوحيد

۞ **الحديث القدسي:**

الحديث الأول: عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي»(١).

الحديث الثاني: باب يلتقي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يلتقي إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»(٢).

ومعنى ذيخ ملتطخ: الذيخ بكسر الذال ذكر الضبع والأنثى ذيخة، وملتطخ أي برجيعة أو بالطين.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ٨/١٤٣، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٢٩، وأخرجه الإمام مسلم أيضاً ٤/٢١٦ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/١٦٩، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/٢٣٨، قال الحاكم: هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين.

قترة: بفتح القاف والتاء والراء شبه دخان يغشى الوجه من هول أو كرب.

غبرة: الغبرة بالتحريك الغبار.

الحديث الثالث: أنا أهل أن أتقى. عن أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، قال: قال الله ﷻ أنا أهل أن أتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي إلهاً فأنا أهل أن أغفر له[1].

◌ الأصل العقائدي:

التوحيد وعدم الشرك بالله؟

«لا يخلد في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» لا يخلد إلا المشركين والكفار.

وهذا الأصل من أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة إذ اتفقوا على عدم التكفير بكل ذنب، وكذلك اتفقوا على عدم التكفير بالذنوب العملية وإن سماها الشارع كفراً، فهي كفر دون كفر، ووقع الخلاف فقط في تارك الأركان الأربعة أي غير الشهادتين. وعلى هذا فإن الله لا يخلد في النار إلا من كان مشركاً أما من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فإنه يخرج من النار ولو بعد حين.

وهذا رد على الخوارج[2] الذين يكفرون بكل ذنب،

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه ٥/٣٣٢٨، ورواه الدارمي في سننه ٢/٣٠٢، ورواه الإمام أحمد في سنده ٣/١٤٢ ـ ٢٤٣ هو حسن لغيره. انظر: السنة لابن أبي عاصم ٢/٩٦٩، وذكره الحافظ ابن كثير في آخر تفسير سورة المدثر.

(٢) فرقة الخوارج هي: التي خرجت على علي بن أبي طالب ﷺ بعد معركة صفين حين قال أحدهم وهو الأشعث بن قيس وغيره: نريد حكم الله لا حكم الرجال، وهي فرقة خارجة عن الدين يقتلون المخالفين لهم، ولهم فرق كثيرة منها: الأزارقة، =

والمعتزلة[1] التي تتبع الخوارج في الحكم لأنها أخرجت مرتكب الكبيرة من الإيمان أي جعلته في النار[2]. وأيضاً فيه رد على المرجئة[3] الذين يقولون: (لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله) أي لا يضر الإنسان مهما عمل ما دام معترفاً بالإيمان بلسانه، كما أن الكافر لا تنفعه الطاعة وهم في الطرف المقابل للخوارج والمعتزلة.

يقول شيخ الإسلام: «وأصل قول أهل السنة الذي فارقوا به الخوارج والجهمية[4] والمعتزلة والمرجئة أن الإيمان يتفاضل ويتبعض»، كما قال

= والنجدات، والعجاردة، ولهم آراء اعتقادية في الإمامة، وخلود مرتكب الكبيرة في النار وغيرها.

(انظر: الشهرستاني: الملل والنحل ١/١٥٥ وما بعدهما، والأشعري: مقالات الإسلاميين ص٢٠٦ - ٢٠٧، والمغربي: الفرق الإسلامية مدخل ودراسة ص١٦٩ وما بعدها).

(١) المعتزلة: أصحاب النظر العقلي وتقديمه على النص. قيل: إنه يطلق عليهم هذا الاسم لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري في زمان فتنة الأزارقة، لقوله: إن صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر وإنه في منزلة بين المنزلتين. ولهم آراء مشابهة لآراء الجهمية في نفي الصفات ونفي الرؤية وخلق القرآن، لذا أطلق عليهم بعض السلف اسم الجهمية ومن أهم مبادئهم الأصول الخمسة، وهم فرق كثيرة وطبقات متعددة.

(انظر: البغدادي: الفرق بين الفرق ص١١٧، والملل والنحل ١/٤٥).

(٢) المعتزلة هنا: موافقون للخوارج في حكم الآخرة، حيث أن مرتكب الكبيرة عندهم مخلد في النار مع الاختلاف اللفظي فهو عند الخوارج كافر وعند المعتزلة فاسق أي أنه عند الخوارج خارج من الإيمان داخل في الكفر، وعند المعتزلة خارج من الإيمان لا يدخل في الكفر وهذا مقصدهم في (منزلة بين المنزلتين).

(انظر: شرح الطحاوية ١/٢١٨).

(٣) المرجئة: الذين أرجأوا أي أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، وأيضاً هم الذين أخذوا بمعنى الرجاء فقالوا: لا تضر مع الإيمان معصية، فالإرجاء بمعنى التأخير.

(انظر: الملل والنحل ١/١٣٩، والفرق بين الفرق ص٢٠٢).

(٤) الجهمية: من الفرق الضالة مؤسسها الجهم بن صفوان المتوفى عام ١٢٨هـ مقتولاً، والذي تأثر بآراء فلسفية في نفي الصفات وبعناصر يهودية وصابئة وبوذية فطلع على الناس ببدعته في نفي الصفات، والقول بخلق القرآن، والقول بالجبر، وقد رد=

النبي ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» وحينئذ تتفاضل ولاية الله وتتبعض بحسب ذلك[1].

ويقول رحمه الله في موضع آخر: «ومن أهل البدع من يكون فيه إيماناً باطناً وظاهراً، لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ من أخطأ من السنة، فهذا ليس بكافر ولا منافق، ثم قد يكون منه عدوان وظلم يكون به فاسقاً أو عاصياً، وقد يكون مخطئاً ومتأولاً مغفور له خطؤه، وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه»[2].

وقد ساق الطحاوي هذا الأصل في الطحاوية بقوله: (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله)[3].

ويردفه الشارح بكلام جميل وتفصيل مسهب يجيب فيه على إشكال أو تساؤل وهو أن: الشارع الحكيم قد سمّى بعض الذنوب كفراً بنص أحاديث صحيحة فلم نسمّها نحن بغير ذلك ولا يوجب لها التخليد في النار؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

١ ـ أن ما ورد في هذه الأحاديث ليس كفراً يخرج من الملة لأن أهل السنة جميعهم متفقون على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة، إذ لو كفر كفراً يخرج عن الملة لقتل في الحال.

٢ ـ اتفاقهم على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل في الكفر ولا يخلد في النار، فالله جعل مرتكب كبيرة القتل

= السلف على هذه البدع وأنكروا على الجهمية آراهم المنحرفة.
انظر: الفتوى الحموية لابن تيمية ص٩٨، وانظر: البداية والنهاية ١٠/٢٧ ـ ٢٩).

(١) الفتاوى ٣/ ٣٥٥، وانظر: شرح الطحاوية ١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤، ترتيب خالد فوزي.
(٢) المرجع السابق ٣/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤.
(٣) شرح الطحاوية ١/ ٢١٧.

من المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، إلى أن قال: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾. فلم يخرج القاتل من (الذين آمنوا) وجعله أخاً لولي القصاص.

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل بل يقام عليه الحد وهذا دليل على أنه ليس بمرتد[١].

وما اهتم الإسلام بهذا الأصل إلا لعظم كلمة التقوى عند الله ودورها العظيم في تصنيف الإنسان يوم القيامة، إذ ما ثم إلا فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير.

فهذه الكلمة العظيمة تخرج الإنسان من دائرة الكفر ومن ثم التخليد في النار، لذلك جاء في هذه الأحاديث القدسية أن الله ﷻ لا يقبل نداءً من الكافر لأنه أشرك بالله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

لكن هنا أمر يجب التفطن إليه وهو أن عصاة المسلمين من أهل الذنوب والكبائر مؤمنون ومستحقون للوعيد بالنار، فهم يعذبون قدر ذنوبهم لكن لا يخلدون، بل قد يعفى عنهم، وقد ذكر العلماء وعددوا الممحصات التي تسقط عن أهل الذنوب والمعاصي عقوبة جهنم وهي:

١ ـ التوبة.

٢ ـ الاستغفار.

٣ ـ الحسنات.

٤ ـ المصائب الدنيوية.

٥ ـ عذاب القبر.

---

(١) شرح الطحاوية ٢١٩/١ ـ ٢٢١.

٦ ـ دعاء المؤمنين واستغفارهم له في الحياة وبعد الممات.

٧ ـ ما يُهدى إليه بعد الموت.

٨ ـ أهوال يوم القيامة وشدائده.

٩ ـ القنطرة التي بين الجنة والنار(١).

١٠ ـ شفاعة الشافعين.

وإذا لم يتم له العفو بهذه العشرة، يبقى عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة(٢)، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ooooo

(١) ثبت في الصحيح: «أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والجنة فيقتص من بعضهم لبعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة». (رواه البخاري في باب قصاص المظالم ٥/١١٥).

(٢) انظر في هذا: شرح الطحاوية ١/٢٢٧، ٢٣١.

المبحث الثاني

التحذير من الرياء وفضل الإخلاص

۞ ١ ـ باب حديث أنا أغنى الأغنياء:

الحديث الأول: عن أبي هريرة ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[(١)].

الحديث الثاني: عن سليمان بن يسار قال: «تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له (ناقل أهل الشام)[(٢)]: أيها الشيخ حدثني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ. فقال: نعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها. فقال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، فقال: كذبت ولكنك قاتلت حتى يقال جريء. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرف نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٨٩/٤، ورواه ابن ماجه ٤٢٠٢/٢، ورواه الإمام أحمد في المسند ٩٦١٧/١٨، والحديث صحيح.

(٢) معنى ناقل أهل الشام أو ناقل الشامي: هو ناقل بن قيس الخزامي الشامي من أهل فلسطين وهو تابعي وكان أبوه صحابياً، وكان كبير قومه.

وسع الله عليه أعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. فقال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن أنفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار[١].

---

(١) الحديث في صحيح مسلم ٣/ ١٥١٣ ـ ١٥١٤، ورواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٢٢، وقال الحاكم: هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة وقد أورد الترمذي هذا الحديث برواية أخرى قال: حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله بن مبارك أخبرنا حيوة بن شريح أخبرني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدائني أن عقبة بن مسلم حدثه أن شفياً الأصبحي حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه ناس فقال: من هذا؟ قالوا: أبو هريرة، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت له: أنشدك بحق لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ عقلته وعلمته. فقال أبو هريرة: افعل لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ عقلته وعلمته ثم نشغ أبو هريرة نشغة فمكث قليلاً ثم أفاق، فقال: لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ وأنا معه في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى ثم أفاق ومسح وجهه فقال: لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى ثم أفاقا فمسح وجهه فقال: افعل، لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ وأنا معه في هذا البيت ما معه أحد غيري وغيره ثم نشغ نشغة شديدة ثم مال خاراً على وجهه فأسندته علي طويلاً ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله ﷺ: «أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل يقتتل في سبيل الله، ورجل كثير المال. فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما عملت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل. ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أجعلك تحتاج لأحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتك. قال: كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له: كذبت. وتقول الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جواد. فقد قيل. ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له: فيماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت. فيقول الله تعالى له: كذبت. وتقول الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء وقد قيل ذاك. ثم ضرب رسول الله ﷺ=

۞ ٢ ـ الشرك الأصغر:

الحديث الأول: عن محمود بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر». قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ فقال: «الرياء». إن الله تبارك وتعالى يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»(١).

۞ الأصل العقائدي:

الإخلاص: هو التنقية والمراد به أن يقصد المرء بعبادته وجه الله ﷻ والوصول إلى دار كرامته بحيث لا يعبد معه غيره لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً. ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الحنيفية(٢) ملة إبراهيم عليه السلام أن تعبد الله مخلصاً له الدين(٣). وقد أشار الله تعالى إلى هذا في كتابه في آيات كثيرة. قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

= على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة». قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
انظر: سنن الترمذي ٤/ ٢٣٨٢، ورواه الحاكم في المستدرك ١/ ٤١٨ ـ ٤١٩، وابن حبان في صحيحه ٦١٨/ ٢٥٠٢، ومعنى نشغ: أي شهق شهقة حتى كاد يبلغ الإغماء.

(١) الحديث صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٤٢٩، أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٤١٣٥، والحديث في كنز العمال ٣/ ٧٤٧٧، وفي الترغيب والترهيب للترمذي ١/ ٥٧ ـ ٥٨، وقال: رواه أحمد بإسناد جيد وغيره، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ٩٥١، وقال: هذا إسناد جيد رجاله، كلهم ثقات، رجال الشيخين غير محمود بن لبيد فإنه من رجال مسلم وحده، قال عنه الحافظ ابن حجر: وهو صحابي صغير وجل رواياته عن الصحابة.

(٢) الحنيفية: هي الملة المائلة عن الشرك المبنية على الإخلاص لله تعالى. الشيخ العثيمين: شرح ثلاثة أصول ص٣٧.

(٣) العثيمين: شرح ثلاثة أصول ص٣٧ ـ ٣٨، إعداد فهد السليمان.

والإخلاص نوعان: إخلاص في العبادة وهو المقصود في الآية السابقة وغيرها من الإيات التي تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهو ما يسميه علماء العقيدة التوحيد بالقصد والإرادة أو التوحيد العلمي الخبري والذي يشمل الربوبية والأسماء والصفات، والنوع الآخر هو إخلاص العمل، وهو ما يسميه علماء العقيدة توحيد الألوهية أو توحيد العبادة وقد دل على الأول سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] وعلى الثاني سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١] وهما سورتا الخلاص وبهما كان النبي ﷺ يقرأ بعد الفاتحة في ركعتي الفجر والطواف وغير ذلك(١).

وسميت هاتان السورتان بسورتي الإخلاص لما يدل عليه معناهما، ففي سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وصف لله ﷻ بالوحدانية والصمدية ونفي الكفء عنه والمثل، فاسمه الأحد دل على أنه مستحق لجميع صفات الكمال وحده، وسورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتبري من عبادة كل ما سواه.

وأما من حيث الدلالة فقل يا أيها الكافرون اشتملت على التوحيد العملي نصاً، وهي دالة على العلمي لزوماً، وقل هو الله أحد اشتملت على التوحيد القولي نصاً، وهي دالة على التوحيد العملي لزوماً، ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر.

ما السر في قراءته ﷺ في الطواف لهاتين السورتين؟

الظاهر أنه لاستحضار عظمة الله سبحانه وإشعار القلب أن الطواف بالكعبة ليس عبادة لها، وإنما هو عبادة لله الأحد الصمد الذي لا يستحق العبادة سواه، والطواف كسائر العبادات امتثالاً لأمر الله وشرعه، على حد

(١) الشيخ فالح آل مهدي: التحفة المهدية ص٢٨، تصحيح وتعليق د.عبد الرحمن المحمود.

قول عمر رضي الله عنه: «والله إني أعلم إنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

وقد كان عليه الصلاة والسلام يقرأها في ركعتي الفجر والوتر ليكون أول يومه ونهايته توحيداً[١].

۞ أصلين لقبول العمل:

إن الإخلاص مترتب عليه قبول العمل، فتوحيد العمل أو توحيد الألوهية الذي يدخل فيه الأعمال التعبدية لله من استعانة واستغاثة وتوكل وخوف ورهبة ورغبة وغير ذلك لا بد أن تكون خالصة لله تعالى لذا لا بد من عبادته سبحانه من أصلين أحدهما: إخلاص الدين، والثاني: موافقة أمره الذي بعث به رسله، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: «اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد منه شيئاً». قال الفضيل[٢] في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، قال: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة[٣].

ولهذا كما جاء في الأحاديث القدسية لما كان عمل هؤلاء ليس خالصاً لوجهه تعالى إنما ابتغوا فيه السمعة والشهرة أو مكسباً من مكاسب الدنيا كان جزاؤهم عدم قبول أعمالهم وسبباً في ورودهم النار ـ والعياذ

---

(١) المرجع السابق ص٢٩.

(٢) الفضيل: هو الفضيل بن عياض الإمام القدوة أبو علي التميمي اليربوعي المروزي شيخ الحرم حدث عن المنصور بن المعتمر وكان ربانياً قانتاً ثقة، توفي سنة سبع وثمانين ومائة وعمره يقارب الثمانين رحمة الله عليه.
(انظر: شرح المهدية ص٤٤٠).

(٣) المرجع السابق ص٣٨ ـ ٣٩.

بالله ـ خاصة وهي أعمال عظيمة عالية الرتب. (قراءة القرآن ـ الجهاد ـ الصدقة في سبيل الله)، ولكنها لما لم تكن في سبيل الله لم يكن له وزن ولا اعتبار عند المولى ﷻ، لأن الأصل الإخلاص والمتابعة، وإذا فقدت شرطاً واحداً من الشرطين لم تقبل هذه الأعمال أو غيرها.

۞ أهمية الإخلاصة وخطر الرياء:

إن الإخلاص هو مفتاح النجاة من كل عذاب، وهو طريق الأنبياء وملاذ الصالحين والشهداء، ولقد قال العلماء: «والعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، والإخلاص من غير تحقيق هباء». قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يعلم النية أولاً ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتا العبد إلى النجاة[1].

ومدار الإخلاص على تحقيق العبادة لله تعالى وعدم الإشراك به لذا فهو أصل من أصول التوحيد لا يتم إيمان العبد إلا به، فمن وحد الله في قلبه وأخلص له فتبع له توحيد الله في عمله كله، فما يتعلق بالإخلاص ينبغي أن يكون أصلاً طاعة لله تعالى.

الأعمال تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ المعاصي: فلا تتغير عن موضوعها بالنية، مثل من يبني مسجداً بمال حرام يقصد الخير، فإن النية لا تؤثر فيه.

٢ ـ الطاعات: وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها.

---

(١) انظر: المقدسي: مختصر منهاج القاصدين ص٣٨٥.

٣ ـ المباحات: فما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات تصير بها قربات، وينال بها معالي الدرجات[(١)].

ومن هنا قعّد العلماء القاعدة المعروفة (أن العادة تصبح عبادة بالنية)، أو أن المباحات تتحول بالنيات الصالحات إلى عبادات.

۞ خطر الرياء:

دلّ الحديث القدسي الأخير في هذا الباب على خطر الرياء فماذا بعد عدم قبول الله تعالى للعمل، أينفع العبد بعد ذلك قريب أو حبيب؟ حين يُقال لهم: «اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً»، حينها لا ينفع الندم ولا تغني الحسرة، لذا فإن من كان في روحه هواء يتردد فليبادر إلى الخلاص قبل أن لا ينفع الندم.

لقد ذم الله تعالى الرياء في الكتاب فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾﴾ [الماعون: ٤ ـ ٦]. وقال أيضاً: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

فالله سبحانه ـ كما جاء في الحديث القدسي ـ أغنى الشركاء عن الشرك[(٢)]. لا بد أن يخلص له وحده ولا بد أن يعبد سبحانه وحده.

ولقد كان السلف الصالح يخافون من الرياء أشد الخوف، لأن جزاء المرائين توجل منه القلوب، وتذرف من أجله العيون.

ومن أمثلة هذا الخوف عند السلف ما حدث لأبي هريرة رضي الله عنه إذا أراد أن يحدث «بحديث أو ثلاثة تسعر بهم النار» لريائهم وعدم إخلاصهم كان رضي الله عنه يغشى عليه ثلاث مرات ثم يفيق فما يستطيع أن يحدث به إلا

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(٢) سبق إيراده وتخريجه في ص٢٣.

بمشقة من شدة خوفه ووجله من هذه الآفة الخطيرة التي تحبط العمل، وقد حدث أحد رواة الحديث بهذا عند معاوية ﷺ فقال معاوية: «قد فعل بهؤلاء فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكى معاوية بكاءً شديداً حتى ظننا أنه هالك، ثم أفاق معاوية ومسح وجهه وقال: صدق الله ورسوله». ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[١] [هود: ١٥، ١٦].

۞ درجات الرياء:

إن بعض درجات الرياء أشد من بعض، لأنه درجات، أشدها وأغلظها أن لا يكون المراد بالعبادة الثواب أصلاً ـ والعياذ بالله ـ كالذي يصلي بين الناس ولو انفرد لم يصل.

الدرجة الثانية: أن يقصد الثواب مع الرياء قصداً ضعيفاً، بحيث لو كان خالياً لم يفعله، فهو قريب من القسم الأول في كونها ممقوتتين عند الله تعالى.

الثالثة: أن يكون قصد الرياء، وقصد الثواب متساويين، بحيث لو انفرد كل واحد منهما عن الآخر لم يبعثه على العمل فهذا، قد أفسد مثل ما أصلح ولا يسلم من الإثم.

الرابعة: أن يكون اطلاع الناس عليه مقوياً لنشاطه، ولو لم يطلع عليه أحداً لم يترك العبادة فهذا يثاب على مقصده الصحيح ويعاقب على مقصده الفاسد[٢].

والكلام في هذا الموضوع طويل جداً وليس هذا موضع الإطالة وقد

---

(١) انظر: الحديث بطوله في صحيح الترغيب رقم ٢٠.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص٢٢٦.

وفى علماؤنا الأفاضل في بيان هذا الموضوع الهام فيرجع إليه في مكانه، ولكي أحب أن أسوق باختصار الإجابة على سؤال «هل أنت من المخلصين؟» أو (ما هي صفات المخلصين؟) والإجابة على هذا السؤال أذكرها في نقاط أو علامات وهي:

١ - يريدون وجه الله (أي في أصل أعمالهم).

٢ - عمل الخلوة أحب إليهم من عمل الجلوة.

٣ - باطنهم أعمر من ظاهرهم.

٤ - همهم خدمة الدعوة والإسلام في أي موقع كانوا.

٥ - خائفون من عدم القبول[1].

○○○○○

---

(١) انظر في هذا: الشيخ مازن الفريح: الرائد، دروس في التربية والدعوة ١/٤١ ـ ٤٤.

المبحث الثالث

إثبات توحيد الربوبية (قضية الخلق وإنزال المطر)

الحديث الأول: عن أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله ﷻ: إن أمتك لا يزالون يقولون: ما كذا ما كذا؟ حتى يقولوا: هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله؟»(١). وروى ابن أبي عاصم عن أبي هريرة ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ: لا يزال عبدي يسأل عني: هذا الله خلقني فمن خلق الله؟»(٢).

الحديث الثاني: روى الإمام مالك عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن وكافر بي، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء(٣) كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»(٤).

---

(١) صحيح مسلم ١/١٢١، ورواه الإمام أحمد في مسنده ٣/١٠٢، وفي صحيح الجامع الصغير ٤/١٤٩٥.

(٢) صحيح كتاب السنة ١/٦٤٦، وقال الألباني في تحقيقه: إسناده جيد على شرط مسلم غير يعقوب بن حميد وهو حسن الحديث.

(٣) النوء: بفتح فسكون النجم إذا مال للغروب، والنوء المطر إذا اشتد.

(٤) صحيح أخرجه الإمام مالك في الموطأ ٤/١٣٦، كما رواه البخاري في صحيحه ١/٢١٤، ٢/١٤، وفي الأدب المفرد ٣١٢/٩٠٧، ورواه مسلم في صحيحه ١/٨٣، وأبو داود في سننه ٤/٣٩٠٦، وأحمد في مسنده ٤/٣٥٧ ـ ٣٥٨، والبيهقي في سننه ٢/١٨٨، وقد ورد الحديث بألفاظ أخرى، منها ما رواه النسائي عن زيد بن خالد=

الحديث الثالث: عن أبي هررة ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم بسبب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»(١).

= الجهني قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال: «ألم تسمعوا ماذا قال ربكم الليلة؟ قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح منهم بها كافرين، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، فأما من آمن بي وحمدني على سقياي فذاك الذي آمن بي وكفر بالكواكب، ومن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك الذي كفر بي آمن بالكواكب». وهو حديث أخرجه النسائي في سننه ٣/ ١٦٤، ورواه أبو عوانة في مسنده ١/ ٢٦، ورواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١١٦. ورواه الإمام مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تروا إلى ما قال ربم؟ قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب». أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٨٣، ورواه النسائي في سننه ٣/ ١٦٤، والبيهقي في سننه ٣/ ٣٥٨، وأحمد في مسنده ١٦/ ٨٧٢٤، وفي صحيح الجامع الصغير ١/ ١٣٢٦.

(١) رواه البخاري عن شيخه الحميدي في صحيحه ٦/ ١٦٦د ٩/ ١٧٥، ورواه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٦٢، وأبو داود في سننه ٤/ ٥٢٧٤، ورواه البيهقي في سننه ٣/ ٣٦٥ من طريق الحميدي، وفي الترغيب والترهيب ٣/ ٧٣٨ لأبي داود والحاكم، وفي صحيح الجامع الصغير ٤/ ٤٢١٩.

وقد روي الحديث بروايات، ومنها ما رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ: «قال الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر، فلا يقلن أحدكم يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر أقلّب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتهما». والحديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٦٢، ورواه أحمد في مسنده ١٤/ ٧٦٦٩، والحديث في كنز العمال ٣/ ٨١٣٩، وفي صحيح الجامع ٤/ ٤٢٢٠، وفي السلسلة الصحيحة للألباني ٢/ ٥٣١.

وقد روي الحديث بروايات عدة كلها تفيد نفس المعنى وكلها صحيحة منها: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: استقرضت من عبدي فأبى أن يقرضني وسبّني عبدي ولا يدري، يقول: وا دهراه، و ادهراه، وأنا الدهر».

وعن همام بن منبه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقول ابن آدم: يا خيبة الدهر، فإن أنا الدهر، أرسل الليل والنهار فإذا شئت قبضتهما».

وفي رواية البخاري: «قال الله: يسب بنوا آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار».

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: قال: «قال الله ﷻ: يشتمني ابن آدم يقول: وا دهراه وأنا الدهر». =

الحديث الرابع: عن أبي بن كعب ﷺ في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] إلى قوله: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]. قال: جمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن إلى يوم القيامة، فجعلهم أرواحاً ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا: بلى، شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية بعدهم، أفتهلكنا بما فعل المبطلون، قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا: لم نعلم أو تقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بي شيئاً، فإني أرسل إليكم رسلي يذكروكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي فقالوا: نشهد إنك ربنا إلهنا ولا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك ورفع لهم أبوهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة وغير ذلك فقال: رب لو سويت بين عبادك: فقال إني أحب أن أشكر. ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج، وخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧]. وفي قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]. وذلك قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ [النجم: ٥٦]. وهو قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف ١٠٢]. وهو قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [يونس: ٧٤].

= وعند أحمد: لا تسبوا الدهر فإن الله ﷻ قال: أنا الدهر، الأيام والليالي لي أجدّدها وأبليها وأتي بملوك بعد ملوك». وعند البخاري في الأدب المفرد: لا يقل أحدكم يا خيبة الدهر. قال الله ﷻ: «أنا الدهر، أُرسل الليل والنهار فإذا شئت قبضتهما، ولا يقولن للعنب الكرم فإن الكَرْم الرجل المسلم».

كان في علمه بما أقروا به من يكذب ومن يصدق به، فكان روح عيسى من تلك الأرواح التي أخذ عليها الميثاق في زمن آدم فأرسل ذلك الروح إلى مريم حين اتخذت مكاناً شرقياً وتفرغت للعبادة قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: ١٦، ١٧] قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً قال إنما أنا رسول ربك لأهب لكِ غلاماً زكياً. فحملته قال: حملت الذي خاطبها، وهو روح عيسى عليه السلام. قال أبو جعفر، حدثني الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أُبي بن كعب قال: «دخل مِنْ فيها»[(١)].

✪ الأصل العقدي:

لقد تحدثت هذه الأحاديث ابتداء عن توحيد الربوبية من خلال إثبات قضية الخلق، وإنزال المطر، وتقليب الليل والنهار فهو من المسائل العلمية الخبرية التي يعلمها العبد يقيناً ويصدقها الخبر[(٢)].

يقول شارح المهدية: فالمقصود أن معاني الكلام: إما طلب، والطلب أمر ونهي وهو الإنشاء، وإما خبر وهو ما يصح إثباته كما يصح نفيه لذاته، فمن الطلبي الإرادي توحيد الشرع والقدر فمنه ما هو مطلوب مراد محبوب كالتوحيد وسائر الطاعات، ومنه ما هو مبغض ممنوع كالشر والمعاصي. ومن الخبري الربوبية والأسماء والصفات «فمنه ما يثبت كأوصاف الكمال ونعوت الجلال، ومنهم ما ينفى كنفي النقص والعيوب والشريك والمثيل»[(٣)].

---

(١) حديث حسن رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. دخل فيها: أي دخل الروح في مريم من طريق الفم. (هامش المستدرك ٢/ ٣٢٣).

(٢) ويردف معه توحيد الأسماء والصفات أيضاً، لذا كان الفصل التالي عن هذا الموضوع: الأسماء والصفات.

(٣) التحفة المهدية ص٢٦.

وعلى هذا فمعنى توحيد الربوبية: هو توحيد الله تعالى بفعله سبحانه فهو (الخالق والرازق والمبدي والمعيد منزل المطر مجري السحاب مقلب الليل والنهار...).

وهذا النوع هو الذي أقر به الكفار ولم يدخلهم في الإسلام وقاتلهم النبي ﷺ واستحل دمائهم وأموالهم، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

ومعنى الرب في اللغة واصلة: (رب يرب) بمعنى أنشأ الشيء من حال إلى حال حتى التمام.

يقوا الإمام ابن القيم: «فإن الربوبية تقتضي أمر العباد ونهيهم وجزاء محسنهم بإحسانه ومسيئهم بإساءته»(١).

فتوحيد الربوبية أي إثبات أنه رب كل شيء ومليكه، ورب الأولين والآخرين، ورب المشرقين ورب المغربين، ورب السماوات والأرض وما بينهما، ورب العالمين، رب الآخرة والأولى، مالك الملك، فلا شريك له في ملكه، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويصل من يشاء، ويقطع من يشاء، ويبسط الرزق لمن يشاء، ويقدر على من يشاء، يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إناثاً، ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً أنه عليم قدير، ويولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، يحي الأرض بعد موتها، وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة

---

(١) مدارج السالكين ١/٦٨.

مما تعدون، علم وألهم، ودبر فأحكم، وقضى فأبرم، ولا راد لقضائه ولا مضاد لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا شريك له في ملكه، ولا إله غيره ولا رب سواه، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(١).

◌ التفكر في الخلق وفي الكون منهج القرآن لإثبات توحيد الربوبية: (دليل الآيات)(٢):

ونظراً لأهمية هذا التوحيد فقد تحدث عنه القرآن كثيراً وناقش قضاياه في سهولة ويسر، مما يصل بالعقول السليمة والفطر المستقيمة إلى الإذعان لخالقها والتسليم له سبحانه. ومن مناهج القرآن في إثبات توحيد الربوبية مناقشة قضية الخلق ومنه ثم إثبات الخلقية لله تعالى وحده ـ وهو ما أثبتته هذه الأحاديث القدسية أيضاً ـ لقد ناقش القرآن العقول السليمة بقياد مقنع تسلم معه بالحق وتصدع به، فهذا الإنسان وما تحتويه أعضاؤه من عجائب ودقة. هل خلق من غير خالق؟ إن أي جهاز نستخدمه لو قلنا أنه من غير صانع لاتهمنا من يسمعنا بالجنون، فإذا كان هذا لا يتصور في جهاز أو آلة، فكيف بهذا الإنسان العجيب الصنع والذي يعتبر أعظم آية من آيات الله تعالى، سُلمت القضية الأولى بأن هذا الإنسان لا بد له من خالق، فلا بد أن يقودنا هذا إلى القضية الثانية وهي: من الذين خلقه؟ أخلق نفسه، أم أن أحداً خلقه؟

وإذا لم يخلق الإنسان نفسه فلا بد أن يكون الله تعالى هو الخالق ﷻ وهذا ما أرشدنا إليه القرآن في آيات سهلة الأسلوب معجزة المعنى.

---

(١) انظر: الشيخ حافظ الحكمي: معارج القبول شرح سلم الوصول ١/ ١٣٠ ـ ١٣١.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ١/ ٣١٠. ويقسم شرح الطحاوية الأدلة على توحيد الربوبية إلى ست أدلة وهي: الاستدلال على الله بالله، الدليل الفطري، دليل الآيات، المقاييس العقلية، إجماع الأمم، معجزة الرسل.

يقول الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥].
وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧].

ويسمي شارح الطحاوية هذا الدليل بدليل الآيات أي العلامات البينات الواضحات على ربوبيته وألوهيته سبحانه.

لذا أشير إلى قصة «أبي حنيفة رحمه الله تعالى مع قوم من أهل الكلام أرادوا سؤاله عن توحيد الربوبية فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب وتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها وتعود بنفسها، وتتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد؟ قالوا هذا محال لا يمن أبداً. فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفليه»[1].

۞ طرق إثبات هذا التوحيد:

إن الإنسان يستطيع أن ينتفع بتوحيد الإلهية الذي من أجله أنزل الله الكتب وأرسل الرسل إلا بعد بيان توحيد الربوبية، لذا فقد بين الله هذا التوحيد غاية البيان بطرق ثلاث:

أولاً: السمع: عن طريق بيان أن آياته المتلوة بينة واضحة كل ما يحتاج إليه انسان من إثبات الوحدانية ليس فيها احتمال ولا حيرة. يقول تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾﴾ [يوسف: ١]. ويقول ﷻ: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

ثانياً: البصر: أي النظر في آياته العيانية والخلقية لأن التفكر والنظر فيها يدل على خالقية الله لها وتدبيرها إياها.

ثالثاً: العقل: ويأتي جامعاً بين السمع والبصر، ويجزم بصحة ما جاءت به الرسل، موافقاً للفطر السليمة[2].

---

(١) شرح الطحاوية ١/ ٣١٠.

(٢) انظر: المرجع السابق ١/ ٣١١ ـ ٣١٢.

إذا فطريق إثبات هذا التوحيد واضح بين ولا يحتاج في الاستدلال عليه إلى طريقة المتكلمين وغيرهم من «الاستدلال بالمقدمات الخفية، والأدلة النظرية، فإن الخفاء والظهور من الأمور النسبية، فربما ظهر لبعض الناس ما خفي على غيرهم، ويظهر للإنسان لواحد في حال ما خفي عليه في حال أخرى.

وأيضاً فالمقدمات وإن كانت خفية فقد يسلمها بعض الناس وينازع قيماً هو أجلى منها، والعلم ببيان الصانع ووجوب وجوده أمر فطري وإن كان يحصل لبعض الناس من الشبه ما يخرجه إلى الطرق النظرية[1].

۞ ومن منهج القرآن في الاستدلال على هذا التوحيد:

الاستدلال بهذا الكون، كما جاء في هذه الأحاديث القدسية السابقة (إثبات أنه سبحانه يقلب الليل والنهار، وإثبات إنزال المطر).

فالكون فيه آيات واضحات وظواهر منتظمة تسير بدقة وإحكام لا تختلف عن وظيفتها ولا تتخلى عن مهامها، فالكون والنجوم تسير في أفلاكها بانتظام عجيب وبدقة متناهية.

وسبحان القائل: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠]. فماذا يحدث لو أن الله أمسك الليل فلم يأت؛ أو أمسك النهار، من إله غير الله يستطيع أن يقلبها لينتفع العباد بها حسب السنن الكونية، يقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾، وقال ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص: ٧١، ٧٢]. إن هذا من الأمور التي تقر النفس وتعترف فيها بقدرة الله على هذه الأمور وليس أحد سواه.

---

(١) انظر: درء التعارض ٣/ ٩٧، ١٠٥، ١٩٧، وانظر: الرد على المنطقيين ص٢٥٣ ـ ٢٥٥.

۞ **العلاقة بين توحيد الربوبية وكلمة الميثاق:**

ونجد أنفسنا أمام آخر الأحاديث في هذا الموضوع وهو حديث الميثاق والرابطة قوية بينهما إذ أن الله تعالى فطر العباد عل ربوبيته وخالقيته سبحانه، فلو خلي العبد وفطرته لاتجه إلى التوحيد لذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب ودلت عليه الآيات. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]. فكل الكائنات ـ بما فيها الإنسان مفطورة على الإقرار بربوبية الخالق سبحانه وتعالى. ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. فهذه المخلوقات ـ صامتها وناطقها، وحيها وميتها ـ كلها مطيعة لله منقادة لأمره الكوني، وكلها تنزه الله عن النقائض والعيوب بلسان الحال ولسان المقال»(١).

وهذا ما ذكره رسول الله ﷺ في بني آدم حيث قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(٢).

يقول شيخ الإسلام: «ولا شك أن الإقرار بالربوبية أم فطري، والشرك حادث طارئ، والأبناء تقلدوه من الآباء، فإذا احتجوا يوم القيامة بأن الآباء أشركوا ونحن جرينا على عاداتهم كما يجري الناس على عادة آبائهم في المطاعم والملابس والمساكن، يقال لهم أنتم كنتم مقرين بالصانع، مقرين بأن الله ربكم لا شريك له وقد شهدتم بذلك على أنفسكم، فإن شهادة المرء على نفسه هي إقرار بالشيء ليس إلا(٣).

لذا فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإقرار بهذا الميثاق، يقول

---

(١) انظر: العقيدة الصافية ص٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب إذا سلم الصبي فمات ٣/٢١٩، ح١٣٥٨ ـ ١٣٥٩، وأخرجه مسلم في القدر، باب معنى كلمة كل مولود يولد على الفطرة ٤/ ٢٠٤٧، ح٢٦٥٨.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٤/ ٢٤٥، ٢٤٩، ٣٠٣، وما جاء في أطفال المشركين.

الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والميثاق الذي أخذه الله من آدم وذريته حق»[1]. وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وهو ما جاء شرحه في هذا الحديث القدسي.

وقد قال قائلون من السلف والخلف أن المراد بالإشهاد والذي ورد في الآيات والأحاديث إنما هو فطرهم على التوحيد، وهذا قول المفسرين أيضاً[2]. وقد ساق شارح الطحاوية أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿شَهِدْنَآ﴾، ومنه قول ابن عباس وأُبي بن كعب: أي قالوا بلى شهدنا إنك ربنا وقد رجح الطحاوي هذا القول[3].

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ...﴾ الآية، فقد قال القرطبي: «وهذه الآية مشكلة وقد تكلم العلماء في تأويلها، فقال قوم: معنى الآية: إن الله أخرج من ظهر بني آدم بعضهم من بعض، ومعنى ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]: دلهم على توحيده لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له رباً واحداً ﷻ. قال: فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم، كما قال تعالى في السماوات والأرض: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١][4]، وقد قوى هذا القول ابن كثير في تفسيره وقال: هذا قول جماعة من السلف وجماعة من الخلف[5]، وقد رجح الطحاوي أيضاً هذا القول أي أن الأخذ كان من ظهور بني آدم وليس من ظهر آدم وساق رَحِمَهُ اللَّهُ فائدتين مهمتين وهما:

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ١/ ٣٠٠.
(٢) انظر: شرح الطحاوية ١/ ٣٠٣، وانظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٤.
(٣) انظر: شرح الطحاوية ١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤.
(٤) انظر: تفسير القرطبي ٧/ ٣١٤.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٤.

١ ـ كون الناس تكلموا حينئذ وأقروا بالإيمان وأنه بهذا تقوم الحجة عليهم يوم القيامة.

٢ ـ أن الآية دلت على ذلك والآية لا تدل عليه لوجوه:

أحدها: أنه قال: ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ولم يقل من آدم.

الثاني: أنه قال من: ﴿مِن ظُهُورِهِمۡ﴾ ولم يقل ظهره وهذا بدل بعض أو بدل اشتمال وهو أحسن.

الثالث: أنه قال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ ولم يقل ذريته.

الرابع: أنه قال: ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي جعلهم شاهدين على أنفسهم ولا بد أن يكون الشاهد ذاكراً لما شهد به، وهو إنما يذكر شهادته بعد خروجه إلى هذه الدار ـ كما تأتي الإشارة إلى ذلك ـ لا يذكر شهادة قبله.

الخامس: أنه سبحانه أخبر أن حكمة هذا الإشهاد إقامة للحجة عليهم، لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾، والحجة إنما قامت عليهم بالرسل والفطرة التي فطروا عليها كما قال تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

السادس: تذكيرهم بذلك لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. ومعلوم أنهم غافلون عن الإخراج لهم من صلب آدم كلهم وإشهادهم جميعاً ذلك الوقت، فهذا لا يذكره أحد منهم.

السابع: قوله تعالى: ﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٧٣] فذكر حكمتين في هذا الأخذ والإشهاد لئلا يدعوا الغفلة، فالغافل لا شعور له، والمقلد متبع في تقليده لغيره، ولا تترتب هاتان الحكمتان إلا على ما قامت به الحجة من الرسل والفطرة.

الثامن: قوله تعالى: ﴿أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، أي

لو عذبهم بجحودهم وشركهم لقالوا ذلك، وهو سبحانه إنما يهلكهم بمخالفة رسله وتكذيبهم وقد أخبر سبحانه أنه من كان ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون، وإنما يهلكهم بعد الإعذار والإنذار بإرسال الرسل.

التاسع: أنه سبحانه أشهد كل واحد على نفسه أنه ربه وخالقه، واحتج عليهم بهذا في غير موضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، فهذه هي الحجة التي أشهدهم على أنفسهم بمضمونها، وذكرتهم بها رسله بقوله: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

العاشر: أنه جعل هذه آية، وهي الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لمدلولها، وهذا شأن آيات الرب تعالى، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝١٧٤﴾ [الأعراف: ١٧٤]، وإنما ذلك بالفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، فما من مولود إلا ويولد على الفطرة، لا يولد مولود على غير هذه الفطرة، هذا أمر مفروغ منه، لا تبديل ولا تغيير[1]. وقد تقدم الإشارة إلى هذا والله أعلم.

۞ أول واجب على المكلف هو الشهادتان المتضمنتان لتوحيد الله وإفراده بالعبادة:

فنثبت إذا بما تقدم أن التوحيد فطري مستقر في نفوس بني آدم، والاعتراف به مستقر في يقينهم.

يقول شيخ الإسلام بعد كلامه على حديث الفطرة: «والمقصود هنا أنه معروف عند السلف والخلف وأن جميع الإنس والجن معترفون بالخالق مقرون به»[2]. وعلى هذا فلا يحتاج الإنسان إلى ما ذكره المتكلمون من

---

(١) انظر فيما سبق: شرح الطحاوية ص٣٠٦ ـ ٣٠٧.

(٢) درء التعارض ٨/٤٨٢.

النظر وأنه أول ما يجب على المكلف إذ كيف يحتاج الإنسان إلى النظر والاستدلال على أمر فطر عليه واستقر في نفسه.

لذلك يقول رحمه الله: «مع أن جمهور الخلق لا يعرفون النظر الذي يذكره هؤلاء فعلم أن أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقر في قلوب جميع الإنس والجن، وأنه من لوازم خلقهم ضروري لهم، وإن قدر أنه حصل بسبب، كما أن اعتداءهم بالطعام والشراب هو من لوازم خلقهم وذلك ضروري منهم وهذا هو الإقرار بالشهادة المذكور في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ. . . .﴾[1] [الأعراف: ١٧٢]، وقد رد شيخ الإسلام على هذه المسألة في مواضع كثيرة ليست هنا مجال حديثنا[2]. ولكن نخرج مما سبق بالتالي:

١ ـ الإقرار بتوحيد الربوبية يشمل كل ما يتعلق بفعل الله عز وجل من خلق وإحياء وإماتة وغير ذلك.

٢ ـ الإقرار بهذا التوحيد أمرٌ فطري لا يحتاج إلى أدلة منطقية أو عقلية.

٣ ـ أول واجب على المكلف الشهادتان (الميثاق) وليس النظر. والله أعلم. . .

○○○○○

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر في هذا: كتب شيخ الإسلام: درء التعارض ٧/٣٥٢ ـ ٢٥٤، ٨/٩ ـ ٢٤، والنبوات ٥٩/٩٥٦٢، ومجموع الفتاوى ٢٠/٢٠٢، والاستقامة ١/١٤٢، وانظر: د. المحمود: موقف شيخ الإسلام من الأشاعرة ٣/٩٣٤ وما بعدها.

الفصل الثاني

الإيمان بأسماء الله وصفاته

ويتضمن عدة مباحث:

المبحث الأول: الصفات الذاتية الخبرية:

(الكلام - اليدان - الوجه - العزة والجلال).

المبحث الثاني: الصفات الفعلية: (الخلق - الرزق...).

المبحث الثالث: رؤية الله ﷻ.

مقدمة

توحيد الأسماء والصفات نوع من نوعي التوحيد العلمي الخبري أو العلمي القولي والذي لا يكتمل توحيد العبد إلا به، ولا يعظم إيمانه أيضاً إلا بالتصديق به ومعنى هذا التوحيد أي: الإيمان بأسماء الله وصفاته جل وعلا كما جاءت في القرآن الكريم وفي سنة الحبيب المصطفى ﷺ كما يليق بالله تعالى وعلى ما أراده الله ﷻ بدون تحريف(١) ولا تعطيل(٢) ولا تكييف(٣) و تمثيل(٤).

---

(١) التحريف: هو التغيير وهو إما لفظي أو معنوي، والمعنوي هو الذي وقع في الصفات فهو إذاً تغيير المعنى المعنوي للصفة.

(٢) التعطيل: بمعنى التخلية والترك، والمراد إنكار ما أثبت الله تعالى لنفسه من الأسماء والصفات سواء كان كلياً أو جزئياً، وسواء كان ذلك بتحريف أو جحود.

(٣) التكييف: هو أن تذكر كيفية الصفة أي يسأل عنها بكيف.

(٤) التمثيل هو ذكر مماثل للشيء بينه وبين التكييف عموم وخصوص مطلق لأن كل ممثل مكيّف وليس كل مكيّف ممثل، لأن التكييف ذكر كيفية غير مقرونة بمماثل، والتمثيل ذكرها بمماثل.

(انظر: شرح الواسطية للشيخ العثيمين ١/٨٦ وما بعدها، ص٩١، ٩٨، ١٠٢).

منهج أهل السنة والجماعة
في توحيد الأسماء والصفات

وهو مستقى من التعريف إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له ورسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسول ﷺ.

يقول الشيخ فالح المهدي: «وقد علم أن طريقة سلف الأمة، وأئمتها إثبات من أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد لا في أسمائه ولا آياته»[1].

والأصل في هذا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وهي القاعدة التي رد بها السلف آراء كل من جحد أو أول في الأسماء والصفات من الفرق الأخرى فهو سبحانه ليس كمثله شيء «لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما نعتقد بأن الله سبحانه له ذات حقيقية، وله أفعال حقيقية، فكذلك له صفات حقيقية ـ تليق بجلاله ـ، وهو معنى قول الإمام أحمد يرحمه الله تعالى: «لا يتجاوز القرآن والحديث» معناه أن الأسماء والصفات توقيفية فمصدرها الكتاب والسنة»[2]. ولقد كان لهذه القاعدة تأصيل لمنهج أهل السنة في الرد على

---

(١) التحفة المهدية ص٣١، وانظر: مجموع الفتاوى ٥/٢٦ ـ ٢٧، وانظر: د.هراس شرح نونية ابن القيم ٢/٥٥.

(٢) المرجع السابق ص٣٠.

مخالفيهم، ومن ثم تميز هذا المنهج ووضوحه، فما دل عليه القرآن والسنة أثبتوه وما سوى ذلك نفوه.

۞ موقف السلف من التأويل:

لذلك كان لهم موقفاً واضحاً من التأويل فهم لا يرفضون التأويل رفضاً مطلقاً بل كانوا يفسرون بعض الآيات بتخصيص عمومها وتقييد مطلقها وبتقدير مضاف محذوف منها، ولم يكونوا يلجأون إلى هذا التأويل إلا لوجود دليل عقلي ظاهر أو سمعي ظاهر يقتضي ذلك[١]، لذا فقد رفض السلف التأويلات التي ذكرها المتكلمون إذ يعمدون إلى معنى فاسد فيجعلونه ظاهر اللفظ كما أولوا صفة العين والوجه وغيرها.

يقول شيخ الإسلام ﵀: «فلا يجوز أن يتكلم - أي النبي ﷺ - هو وهؤلاء - أي الصحابة رضوان الله عليهم - بكلام يريدون به خلاف ظاهره، إلا وقد نصب دليلاً يمنع من حمله على ظاهره، إما أن يكون عقلياً ظاهراً مثل قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد أوتيت من جنس ما يؤته مثلها، وكذلك ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]. يعلم المستمع أن الخالق لا يدخل في هذا العموم، وإما سمعياً ظاهراً مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض الظواهر»[٢].

۞ أهل السنة ليسوا مفوضة:

وأحب في هذه العجالة أن أبرئ أهل السنة مما ألحقه بهم بعضهم حيث فهموا كلام الإمام مالك ﵀: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»، أنه تفويض في معاني الأسماء والصفات، وأن الصحابة ما كانوا يدركون معاني هذه الصفات ويفوضون معناها إلى الله.

---

(١) د. أحمد عبد اللطيف: منهج إمام الحرمين عرض ونقد ص٣١٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ٣٦١.

وكل هذا غير صحيح إذ أن الصحابة رضوان الله عليهم تلقوا عن نبيهم ﷺ وهو أعلم الخلق بربه ﷻ كانوا يدركون معانيها على ما يليق بذات الله تعالى ولم يكونوا يفوضون إلا في حقيقتها وكيفيتها كما يدل عليه كلام الإمام مالك. فالسلف إذا يفوضون الكيفية، ويفسرون المعنى كما يليق بجلال الله وعظمته.

يقول شيخ الإسلام: «وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس الحقيقة التي أخبر عنها، وذلك في حق الله: هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره»، ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما: «الاستواء معلوم والكيف مجهول» وكذلك قال غيرهم من السلف: «إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وإن علمنا تفسيره ومعناه»[1].

ثم ضرب شيخ الإسلام مثالاً على هذا فقال:

«فإن ما أعده الله لأوليائه من النعيم لا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر، فذاك الذي أخبر به لا يعلمه إلا الله، فمن قال من السلف إن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله بهذا المعنى حق. وأما من قال إن التأويل الذي هو تفسيره، وبيان المراد به لا يعلمه إلا الله فهذا ينازعه فيه عامة الصحابة والتابعين الذين فسروا القرآن كله وقالوا أنهم يعلمون معناه، كما قال مجاهد: «عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عنها» وقال ابن مسعود: «ما في كتاب الله آية إلا وأنا أعلم فيما نزلت...»[2].

وقد وضع السلف رحمهم الله تعالى ضوابط في تأويل صفات الله تعالى[3] وتكلموا أيضاً عن أنواع التأويل الباطل يرجع إليه في

---

(١) انظر: درء التعارض ١/٢٠٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ١/٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٦/ ٣٦٠.

موضعه[1]، لأن الكلام سيطول بنا، ولكن ما نحب أن نقرره من خلال إثبات هذه الأحاديث القدسية، هو إثبات الصفة التي وردت في الحديث ومن ثم تفسيرها حسب ما جاءت به الأدلة الصحيحة الصريحة وما ذكره علماء أهل السنة في ذلك.

ولقد اعتمد السلف لإثبات صفات الله تعالى ثلاث طرق:

۞ طرق إثبات الصفة:

١ ـ دلالة الأسماء عليها لأن كل اسم هو متضمن لصفة.

٢ ـ أن ينص على الصفة، مثل الوجه واليدين أو العينين.... وما أشبه ذلك، فهذا بنص من الله، ومثل الانتقام فقال عنه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧]، إذ ليس من أسماء الله المنتقم خلافاً لما يوجد في بعض الكتب التي فيها عد أسماء الله تعالى، لأن الانتقام ما جاء إلا على سبيل الوصف أو اسم الفاعل مقيداً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

٣ ـ أن تؤخذ من الفعل مثل المتكلم فنأخذها من: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[2] [النساء: ١٦٤].

وعلى هذا **فباب الصفات أوسع من باب الأسماء**، فالأسماء لا نطلقها على الله تعالى إلا بورود النص المطابق، أما الصفة فكل اسم يتضمن صفة وكل فعل في الكتاب والسنة الصحيحة يتضمن صفة، إضافة إلى ورود النص.

۞ أقسام الصفات:

وللصفات أقسام كثيرة من حيث متعلقاتها أما ما يخص حديثنا فأقسامها من حيث تعلقها بذات الله وأفعاله منقسم إلى قسمين:

---

(١) انظر: مختصر الصواعق لابن القيم ص١٢ ـ ١٧.

(٢) انظر: الشيخ ابن عثيمين رحمه الله شرح الواسطية ١/١٤٤ ـ ١٤٥.

١ ـ صفات ذاتية:

وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر، والوجه واليدين ونحو ذلك.

٢ ـ صفات فعلية:

وهي الصفات المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالمجيء والنزول والغضب والفرح نحو ذلك وتسمى (الصفات الاختيارية) منها ما يكون له سبب ومنها ما ليس له سبب ومنها يكون ذاتياً فعلياً[(١)].

۞ **وأفعاله سبحانه نوعان:**

١ ـ لازمة: كالاستواء والنزول والإتيان... ونحو ذلك.

٢ ـ متعدية: كالخلق، والرزق، والرضى ونحو ذلك.

وأفعاله ﷻ لا منتهى لها.. ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وبالتالي صفات الله الفعلية لا حصر لها. وهي باعتبار أصلها ونوعها صفة ذات وباعتبار آحادها وأفرادها صفة فعل[(٢)]، وبعد استقصاء الصفات الموجودة في الأحاديث القدسية قدر المستطاع تم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين حسب هذين القسمين، وتحت كل مبحث ما يخصه من الصفات وسيكون منهجي في إثبات الصفة بعد أصل الحديث القدسي:

١ ـ إثباتها من القرآن الكريم.

٢ ـ إثباتها من السنة.

٣ ـ إثباتها من أقوال السلف في هذه الصفة. والله أعلم...

---

(١) انظر: الشيخ العثيمين: شرح الواسطية ١/١١٨.

(٢) انظر: علوي السقاف: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة ص٢٨ ـ ٢٩.

المبحث الأول

الصفات الذاتية الكلام... الوجه... اليد... العزة والجلال

أولاً: صفة الكلام

۞ الحديث القدسي:

الحديث الأول: عن طلحة بن خراش قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: «يا جابر مالي أراك منكسراً؟»، قلت يا رسول الله استشهد أبي، قتل يوم أحد وترك عيالاً وديناً. قال: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟». قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: «ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحاً فقال: يا عبدي منّ عليّ أعطك. قال: قال يا رب تحييني فاقتل فيك ثانية. قال الرب ﷻ: إنه قد سبق مني ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١]. قال وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩][1].

الحديث الثاني: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم، ورجل منع فضل ماء[2] فيقول الله يوم

---

(١) حديث حسن رواه الترمذي ٥/ح٣٠١٠، ورواه ابن ماجه في سننه ١/ ١٩٠، ٢/ ٢٨٠٠.

(٢) فضل ماء: الفضل هو الزيادة والمعنى: منع ما زاد عن حاجته منه أن يعطيه الناس. (انظر: الضبابطي: جامع الأحاديث القدسية ١/ ٥١١).

القيامة: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك»[1].

۞ الأصل العقدي:

إثبات صفة الكلام لله تعالى.

۞ إثباتها من القرآن:

مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وهذه الآية تثبت أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه سبحانه المتكلم به.

يقول الشيخ السعدي في تفسير الآية: (وفي هذا حجة صريحة لمذهب أهل السنة والجماعة القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة، ومن أخذ بقولهم أن القرآن مخلوق)[2].

فكل آية في القرآن هي كلام الله تعالى وهي قوله سبحانه وتعالى.

وقد ثبت بهذه الآية أيضاً أن الله تكلم بالقرآن حقيقة بحرف وصوت.

يقول شيخ الإسلام ابن القيم نقلاً عن البخاري رحمهم الله أجمعين:

---

(١) أخرجه البخاري ٩/١٦٣، ١٤٨، ورواه مسلم ١/١٠٢ ـ ١٠٣، ورواه أبو داود ٣/ ح٣٤٧٤، والنسائي ٤/٢٤٧.
هذان الحديثان يثبتان صفة الكلام لله تعالى صراحة بيد أني أحب أن أوضح أن كل حديث قدسي يثبت هذه الصفة لأن فيها إثبات القول «قال الله تعالى...».
والقول كلام، وأحب أن أشير أيضاً إلى أن الحديث الثاني يثبت صفة الكلام وصراحة من لفظ: «لا يكلمهم...» وهو قول الرسول ﷺ، ويثبت صفة الكلام ضمناً ما ورد في نهاية الحديث: «فيقول الله...» والله أعلم.

(٢) انظر: السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٢٨٢، ط١٤٢١، المكتبة العصرية، بيروت.

«واعتل بعضم فقال حتى يسمع كلام الله (قيل له) إنما قال حتى يسمع كلام الله لا كلامك ونغمتك وصوتك، إن الله فضل موسى عليه السلام بكلامه، ولو كان يسمع الخلق كلهم كلام الله كما سمع موسى لم يكن لموسى عليه السلام عليك فضل ومعنى هذا أن الصوت المسموع من القارئ لو كان هو الصوت الذي سمعه موسى، لكان كل من سمع القرآن بمنزلة موسى في ذلك»[(١)].

وقو تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾﴾ [النمل: ٨].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: ١١، ١٢].

◇ إثباتها من السنة:

قول الرسول ﷺ: «إذا قضى الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كالسلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير..»[(٢)]

وأيضا قول النبي ﷺ لما صلى بهم صلاة الصبح بالحديبية: «أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر»[(٣)].

وبما أن الله سبحانه ـ كما يثبت أحد السنة ـ يتكلم بما شاء كيف شاء فإنه سبحانه يسكت متى شاء كيف شاء قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرم

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٤٣٤، وقال هذا ابن القيم رداً على من أنكر أن القرآن كلام الله بحجة إننا إذا كان ذلك فيكون الصوت الذي نسمعه من القارئ هو كلام الله وهو نفسه الذي سمعه موسى.

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير رقم ٤٧٠١، وانظر: الفتح ٨/ ٣٨٠.

(٣) متفق عليه. رواه البخاري في كتاب الأدب، حديث رقم ٨٤٦، وانظر: الفتح ٢/ ٣٣٣، ورواه مسلم كتاب الإيمان، باب النوء ٢/ ٥٩.

أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها»[١].

۞ إثباتها من أقوال السلف:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وإن الله تكلم به حقيقة، وإن هذا الذي أنزل على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية من الله، أو عبارته، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى ما قاله مبتدئاً لا إلى ما قاله مبلغاً، وهو كلام الله وحروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف)[٢].

وذكر ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ قال: غير مخلوق[٣].

قال الشيخ العثيمين رحمه الله في إثبات أن القرآن كلام الله عقلاً:

(القرآن كلام الله، والكلام ليس عيناً قائمة بنفسها حتى يكون بائناً من الله، لقلنا: إنه مخلوق، لكن الكلام صفة للمتكلم فإذا كان صفة للمتكلم به وكان من الله كان غير مخلوق؛ لأن صفات الله عز وجل كلها غير ملخوقة، وأيضاً. لو كان مخلوقاً، لبطل مدلول الأمر والنهي والخبر والاستخبار؛ لأن هذه الصيغ لو كانت مخلوقة لكانت مجرد أشكال خلقت على هذه الصورة لا دلالة لها على معناها كما يكون شكل النجوم والشمس والقمر ونحوها)[٤].

---

(١) ذكره البيهقي في السنن الكبرى ١٢/ ١٠ ـ ١٣، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧١، وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) الفتاوى ٣/ ١٤٤، ٦/ ٣٢٤، وقال هذا رداً على الأشاعرة.

(٣) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/ ٢١٧، تحقيق د. سعد حمدان.

(٤) شرح الواسطية ١/ ٤٢٧.

ثانياً: صفة الوجه

۞ **الحديث القدسي:**

عن أبي مالك الأشعري عن الرسول ﷺ «إن الله تعالى قال: من انتدب خارجاً في سبيلي غازياً ابتغاء وجهي وتصديق وعدي وإيماناً برسلي فهو ضامن على الله ﷻ إما يتوفاه في الجيش بأي حتف شاء فيدخله الجنة، وإما يصبح في ضمان، وإن طالت منيته حتى يرده إلى أهله مع ما نال من أجر وغنيمة»[1].

۞ **الأصل العقدي:**

إثبات صفة الوجه لله تعالى.

الشاهد قوله ﷺ عن ربه ﷻ: «ابتغاء وجهي».

وأثبت أهل السنة هذه الصفة بكل نص من الكتاب والسنة الصحيحة حقيقة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته.

١ - إثباتها من القرآن:

مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧].

---

(١) الحديث صحيح لغيره، رواه الطبراني من حديث ابن مالك الأشعري. (انظر: كنز العمال ٤/ح١٠٦٤).

٢ - إثباتها من السنة:

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينام ولا ينبغي لا أن ينام، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[١].

قال النووي فقال: إنه تعالى لا ينام وأنه مستحيل في حقه النوم، فإن النوم انغمار وغلبة على العقل، يسقط به الإحساس والله منزه عن ذلك، وسبحات وجهه: نوره بهاؤه وجلاله ـ وقيل سبحات الوجه: محاسنه، لأنه يقال: سبحان الله عند رؤيتها، وأصل الحجاب في اللغة: المنع والستر، والمراد به هنا المانع من رؤيته ويسمى ذلك المانع نوراً لأنه يمنع في العادة من الإدراك كشعاع الشمس[٢].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله.. الحديث»[٣].

وغير ذلك من الأحاديث.

٣ - أقوال السلف في هذه الصفة:

لقد أكد أهل السنة أن المراد بهذه الصفة هي إثبات الوجه لله تعالى بلا كيف ورفضوا التأويلات الأخرى مثل الذات أو الوجود.

قال الإمام أبو حنيفة: (وله تعالى يد ووجه ونفس، فما ذكر الله

---

(١) الحديث رواه مسلم بشرح النووي ص٣، ١٢ ـ ١٥، كتاب الإيمان، باب ما جاء في رؤية الله تعالى، ورواه الإمام أحمد في مسنده ٤/٣٩٥/٤٠١، ٤٠٥، وابن ماجه في السنن ١/٧٠ المقدمة، باب ما أنكرت الجهمية، ح١٩٥، ١٩٦، ورواه ابن خزيمة في التوحيد، باب إثبات يدي الله، ص٧٥، مراجعة د.هراس.

(٢) انظر: شرح النووي: صحيح مسلم في كتاب الإيمان ٣/١٤، وانظر: ابن سلوم: مختصر لوامع الأنوار البهية ص١٦٤.

(٣) رواه البخاري (انظر: الفتح، كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً ١/٥٤٤، ومسلم ٥/١٤، كتاب المساجد والحث عليها، وكتاب الزهد ١٨/١١٣.

تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف)[1].

وقد ذكر السلف رحمهم الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ﴾ [الرحمن: ٢٧]. فأضاف الوجه على الذات وضاف النعت إلى الوجه، فقال: ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ ولو كان ذكر الوجه صلة، ولم يكن صفة للذات، لقال ذي الجلال، فلما قال: ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾، (علمنا أنه نعت للوجه وأن الوجه صفة للذات)[2].

وقال الحنابلة: (أنه قد ثبت الخطاب العربي الذي أجمع عليه أهل اللغة أن تسمية الوجه في أي محل وقع من الحقيقة والمجاز يزيد على قولنا ذات، فأما في الحيوان، فذلك مشهور حقيقة ولا يمكن دفعه، وأما في مقامات المجاز فكذلك أيضاً لأنه يقال: فلان وجه القوم، لا يراد به ذوات القوم، إذ ذوات القوم غيره قطعاً.. وعليه وجب أن يحمل الوجه في حق الباري على وجه يليق به صفة زائدة على تسمية قولنا ذات)[3].

وكل هذه الأدلة والآثار تدل على إثبات صفة الوجه حقيقة لله تعالى بلا تأويل أو تكييف أو تشبيه.

○○○○○

(١) انظر: الإبانة للأشعري ص١٨.
(٢) المقدسي: أقاويل الثقات ص١٤٣.
(٣) انظر: المرجع السابق ص١٤٢، ١٤٤.

ثالثاً: صفة اليد

۞ الحديث القدسي:

عن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال: «قال الله ﷻ: أنفق أُنفق علي، وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحّاء[1] الليل والنهار. وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغضِ ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع»[2].

۞ الأصل العقدي:

إثبات صفة الله اليد لله ﷻ كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه الدليل على ذلك من القرآن قوله تعلى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا...﴾ [يس: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وغيرها من الآيات.

۞ إثباتها من السنة الصحيحة:

١ - في حديث النزول عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ وفيه: «فيبسط

(١) سحاء: دائمة الصب والهطل بالعطاء. (انظر: جامع الأحاديث القدسية ١/ ٢٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٩٢، ورواه مسلم ٢/ ٦٩، ٢/ ٦٩١، ورواه أحمد ١٣/ ٧٢٩٦.

يديه فيقول ألا عبد يسألني فأعطيه» وفي رواية مسلم: «إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»(١).

٢ ـ وأيضاً ما ورد في الصحيحين من حديث ابن عمر الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «التقى آدم وموسى، فقال موسى: أنت الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه»(٢).

وغير ذلك من الأحاديث التي لا يتسع المجال لذكرها ويكفي ما أوردناه في إثبات هذه الصفة لله تعالى.

۞ أقوال السلف الصالح:

يقول الإمام ابن القيم: (ثبت لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع، وورد متنوعاً متصرفاً مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقية من الإمساك والطي والقبض والبسط والحثيات والخلق باليدين وغير ذلك)(٣).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (أنه لم يرد في الكتاب ولا في أحد من الأئمة أنهم قالوا: المراد باليد خلاف الظاهر أو أن الظاهر غير مراد، ولا تطلق اليد إلا لجنس له يد حقيقة ولا يقولون يد الماء أو الهواء)(٤).

فهي إذاً صفة كمال تناسب وتليق بذاته سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه الإمام مسلم بشرح النووي، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب ١٧/٧٦.

(٢) أخرجه البخاري ٤/٦١٩ ـ ٦٢٠، كتاب أحاديث الأنبياء، وفاة موسى وذكره بعد رقم ١٥٦٥، وأخرجه مسلم ١٦/٢٠٢ ـ ٢٠٠، كتاب القدر، باب الإحجاج آدم وموسى وغيرهما.

(٣) انظر: مختصر الصواعق ٢/٣٣٤ ـ ٣٣٥.

(٤) انظر: الفتاوى ٦/٦٨، ٣٦٢ ـ ٣٧٠.

رابعاً: صفة العزة والجلال

۞ **الحديث القدسي:**

الحديث الأول: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يرد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب ﷻ: وعزتي لأنصرنكِ ولو بعد حين»[1].

الحديث الثاني: عن خزيمة بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تجعل على الغمام يقول الله جل ثناؤه: وعزتي وجلالي لأنصرنكِ ولو بعد حين»[2].

الحديث الثالث: عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول: يا رب هذا قتلني فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: أقتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي، ويجيء الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول: إن هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته، فيقول لتكون العزة لفلان. فيقول: إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه»[3].

---

(١) حديث حسن. أخرجه الترمذي ٥/٣٥٩٨، وقال: هذا حديث حسن. ورواه ابن ماجه ١/٢٧٥٢، والإمام أحمد ١٩/٩٧٤١ وغيرهم.

(٢) الحديث صحيح ذكره الألباني في سلسلته الصحيحة ٢/٨٧٠ معزواً للبخاري في التاريخ الكبير والطبراني، وضعف إسناده لجهالة أحد الرواة ولكنه قال: الحديث حسن على أقل الدرجات، فقد أخرج ابن حبان بسند صحيح طرفه الأول.

(٣) الحديث صحيح. أخرجه النسائي ٧/٨٤، ومذكور في الإتحافات (٨٧٥) معزواً للنسائي والطبراني وابن القيم والبيهقي.

۞ الأصل العقدي:

إثبات صفة العزة والجلال لله تعالى.

وطريقة إثبات هذه الصفة بالنص الصحيح إضافة إلى ثبوتها من أسماء الله تعالى وهي (الجليل، العزيز) إذ أن كل سم من أسماء الله تعالى يتضمن صفة ـ كما أسلفت ـ.

۞ إثباتها من القرآن:

لم يرد اسم الجليل في القرآن والذي ورد وصه سبحانه بأنه ذو الجلال والإكرام.

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

وقال أيضاً: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨].

۞ إثباتها من السنة:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر على الصحابة يوماً فقال لهم: «هل تدرون ما يقول ربكم تبارك وتعالى؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. ثلاثاً. قال: وعزتي وجلالي لا يصلّيها لوقتها إلا أدخلته الجنة ومن صلاها لغير وقتها إن شئت رحمته وإن شئت عذبته»[١].

۞ من أقوال السلف الصالح:

يقول الزجاج في تفسيراسم الجليل: (والجليل عظيم الشأن والمقدار، فهو الذي يصغر دونه كل جليل ويتضح معه كل رفيع وهو سبحانه بيِّن الجلال والجلالة)[٢].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن. والحديث في الإتحافات (٧٦١)، وفي كنز العمال ٧/ ١٩٠٣٢.

(٢) تفسير أسماء الله ص٥٠.

ويقول البيهقي:

(وهو الجليل المستحق للأمر والنهي، فإن جلال الواحد فيما بين الناس إنما يظهر بأن يكون له على غيره أمر نافذ لا يجد من طاعته بداً، فإذا كان من حق الباري جل ثناؤه على من أبدعه أن يكون أمره عليه نافذاً، وطاعته له لازمة، وجب له اسم الجليل حقاً)(١).

أما بالنسبة لاسم ذو الجلال والإكرام فقد قال الزجاجي: (وقيل ذو الإكرام أي يكرم أنبياءه وأولياءه بلطفه مع جلال عظمته)(٢).

ويقول الشيخ العثيمين رحمه الله في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ [الرحمن: ٧٨]: (إذا علمنا أن الله تعالى موصوف بالجلال، فإن ذلك يستوجب أن نعظمه، وأن نجله. وإذا علمنا أنه موصوفاً بالإكرام فإن ذلك يستوجب أن نرجو كرمه وفضله، وبذلك نعظمه بما يستحقه من التعظيم والتكريم)(٣).

وأما كلمة وعزتي فقد وردت في القرآن نصاً أن له سبحانه العزة إضافة إلى إثباتها من اسم العزيز وقد ورد هذا الاسم في القرآن في آيات كثيرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤٧﴾ [إبراهيم: ٤٧].

وورد إثبات العزة لله تعالى في أربع مواضع منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾ [النساء: ١٣٩].

---

(١) انظر: الأسماء والصفات ١/ ٧٠.

(٢) اشتقاق من أسماء الله ص٢٠١.

(٣) شرح الواسطية ١/ ٣٥٥.

وورد بلفظ رب العزة في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠].

◌ إثباتها من السنة:

ما ثبت من أحاديث قدسية صحيحة سبق ذكرها.

◌ إثباتها من أقوال السلف الصالح:

قال الزجاجي: (الله العزيز، هو العزيز في نقمته إذا انتقم أي الشديد في انتقاه ممن انتقم منهم من أعدائه)(١).

وقال الطبري: (وهو القوي الغالب على كل شيء، وليس كمثله شيء وهو سبحانه القوي القاهر ﷻ كل شيء فقهره، وهو غير موجود النظير والمثل، جل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً وهو المعز الذي يهب العز لمن يشاء من عباده(٢).

ويقول البيهقي:(والله سبحانه هو العزيز الذي لا يوصل إليه ولا يمكن إدخال مكروه عليه، وهو منزه عما يجوز على المخلوقين إذ تصيبهم الحوادث وتغيرهم، وهو سبحانه لا يعادله شيء ولا مثل له وهذا أخذاً من معاني العزة وهي الصلابة والمنعة ونفاسة القدر)(٣).

ويقول الشيخ العثيمين في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]: (وفي هذه الآية الكريمة إثبات العزة لله ﷻ، وذكر أهل العلم أن العزة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: عزة القدر، وعزة القهر، وعزة الامتناع.

---

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله الحسنى ص٢٣٧، ٢٣٩.

(٢) انظر: جامع البيان ٣٦/٢٨.

(٣) الأسماء والصفات ٩٦/١.

المبحث الثاني

الصفات الفعلية

الرضا... المغفرة... الرزق... الخلق المباهاة...

التوبة... الضحك... المحبة... العجب

صفة الرضا

۞ الحديث القدسي:

عن ابن عمر عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال: «أيما عبد من عبادي خرج مجاهداً في سبيلي ابتغاء مرضاتي ضمنت له أن أرجعه بما أصاب من أجر وغنيمة، وإن قبضته أن أغفر له وأرحمه وأدخله الجنة»(١).

۞ الأصل العقدي:

صفة الرضا من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى وهي من كمال ربوبيته ﷻ.

وقد أثبتها الله ﷻ في القرآن في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

وقال أيضاً: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

---

(١) الحديث صحيح. أخرجه الإمام أحمد ٨/٥٩٧٧، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال: ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٦٠٤٠) ونسبه لأحمد ورمز له بعلامة الصحة.

٭ **إثباتها من السنة:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً.... الحديث»[1].

١ ـ **فعزة القدر**: معناه أن الله تعالى ذو قدر عزيز، يعني لا نظير له.

٢ ـ **وعزة القهر**: هي عزة الغلبة، يعني أنه غالب كل شيء قاهر كل شيء ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]، يعني غلبني في الخطاب، فالله سبحانه عزيز لا غالب له بل هو غالب كل شيء.

٣ ـ **وعزة الامتناع**: وهي أن الله تعالى يمتنع أن يناله سوء أو نقص، فهو مأخوذ من القوة والصلابة، ومنه قولهم: أرض عزاز، يعني قوية شديدة.

هذه معاني العزة التي أثبتها الله لنفسه وهي لنفسه وهي تدل على كمال قهره وسلطانه وعلى كمال صفاته، وعلى تمام تنزهه عن النقص سبحانه[2].

٭ **أما أقوال السلف:**

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والرضا صفة كمال فإنه لو قدر اثنان أحدهما يحب نعوت الكمال ويفرح بها ويرضاها، والآخر لا فرق عنده بين صفات الكمال وصفات النقص فلا يحب هذه ولا هذه كان الأول أكمل من الثاني)[3].

وقال أيضاً: (الرضا صفة لله جل جلاله وهي صفة حقيقية متعلقة بمشيئته

---

(١) رواه مسلم ١٧١٥.

(٢) شرح الواسطية ١/٣٤٦.

(٣) مجموع الفتاوى ٦/٩٢.

سبحانه فهي من الصفات الفعلية، فهو سبحانه يرضى عن أناس ولا يرضى عن أناس، وهو يرض أعملاً ويكره أعمالاً، ولا يعرف الرضا ولا يعرف الرضا بأوضح من لفظه والثواب دليل على ثبوت الرضا، وهو أكثر من آثاره)[1].

وعلى هذا فصفة الرضا من الصفات الفعلية الحقيقية لله تعالى وهي من كمال ربوبيته ﷻ، أثبتها له سبحانه كما يليق بجلاله وعظمته وبأعلى درجات الكمال كغيرها من الصفات كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

يقول الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ووصف الله تعالى بالرضا ثابت بالدليل السمعي وبالدليل العقلي، فإن كونه ﷻ يثيب الطائعين ويجزيهم على أعمالهم وطاعاتهم يدل على الرضى)[2].

○ ○ ○ ○ ○

(١) انظر: العثيمين: المحاضرات السنية في شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/٢٠٨ ـ ٢١١، وانظر: العثيمين: شرح الواسطية ١/ ٢٦٠.
(٢) انظر: العثيمين: شرح الواسطية ١/ ٢٦٠.

صفة المغفرة

○ **الحديث القدسي:**

الحديث الأول: عن جندب ﷺ أن رسول الله ﷺ حدّث: «أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى[1] علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك»[2]. أو كما قال.

الحديث الثاني: وعن جندب ﷺ عن الرسول ﷺ أنه قال: «قال رجل لا يغفر الله لفلان، فأوحى الله إلى نبي من الأنبياء إنها خطيئة فليستقبل[3] العمل»[4].

الحديث الثالث: عن ضمضم اليمامي قال: قال لي أبو هريرة: يا يمامي لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الجنة أبداً. قلت: إن هذه الكلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب. قال: فلا تقلها. فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «كان في بني إسرائيل رجلان كان

---

(١) يتألى: أي يحلف، والألية علة وزن غنية وهي اليمين. الجامع ١/ ٤٣٥.
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٢٣، والحديث في كنز العمال ٣/ ٧٩٠١، وفي الترغيب والترهيب ٣/ ٨٥٧.
(٣) معنى فليستقبل العمل: أي أن الله أحبط ما مضى من عمله، فعليه أن يصلح ما يستفعل من عمل، وهذا يدل على التغليظ الشديد في أمر من يقنط الناس من رحمة الله ومغفرته. الجامع ١/ ٤٣٦.
(٤) الحديث صحيح ذكره الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤/ ٤٢٢٣ وقال: صحيح.

أحدهما مجتهداً في العبادة وكان الآخر مسرفاً على نفسه فكانا متآخيين فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول: يا هذا أقصر. فيقول فكانا متآخيين فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول: يا هذا أقصر. فيقول خلني وربي أبعثت علي رقيباً؟ قال لي: أن رآه يوماً على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك أقصر. قال خلني وربي أبعثت علي رقيباً؟، قال: فقال: والله لا يغفر الله لك. أو لا يدخلك الجنة أبداً. قال أحدهما. قال: فبعث الله إليهما ملكاً فقبض أرواحهما واجتمعا عنده فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: أكنتَ بي عالماً؟ أكنتَ على ما في يدي خازناً؟ اذهبوا به إلى النار. قال: فوالذي نفس أبي القاسم بيده لتكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته»[1].

الحديث الرابع: وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تفتح أبواب الجنة في كل اثنين وخميس فيغفر الله ﷻ لكل عبد لا يشرك به شيئاً إلا المتشاحنين يقول الله للملائكة ذروهما حتى يصطلحا»[2].

۞ الأصل العقدي:

إثبات صفة المغفرة لله تعالى.

۞ إثبات من القرآن:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٦].

---

(١) حديث حسن. أخرجه أحمد ١٦/ ٨٢٧٥.

(٢) الحديث صحيح. أخرجه الإمام أحمد ١٤/ ٧٦٢٧، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأخرجه الإمام مسلم ٤/ ١٩٨٧، والبخاري في الأدب المفرد ١٤٨/ ٤١١ وغيرهم.

وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ١٠].

فأثبت الله هذه الصفة أيضاً من خلال إثبات اسم الله ﷻ الغفار والغفور.

◌ إثباتها من السنة:

حديث نزوله ﷻ في الثلث الأخير من الليل في الحديث الصحيح وقوله ﷻ: «هل من مستغفر فاغفر له»[1].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، حين أقسم أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح بن أثاثه الذي تكلم ضمن من تكلموا في حادثة الإفك فأنزل الله هذه الآية وقال: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. فقال أبو بكر رضي الله عنه: بلى والله، نحب أن يغفر الله لنا، فرد عليه النفقة[2].

◌ أقوال السلف في إثبات هذه الصفة:

يقول الزجاجي في تفسير اسم الغفار ومن ثم إثبات الصفة: (هو الساتر لذنوب عباده وهو مغطيهم بستره فلا يطلع على ذنوبهم غيره، وهو المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، لأنه سبحانه إذا سترها فقد صفح عنها وتجاوز، وهو غفور يغفر لهم مرة بعد مرة إلى ما لا يحصى وفي الآخرة يستر على بعضهم، ويأخذ على آخرين ببعض ذنوبهم ويستر غيرها)[3].

وذكر البيهقي أن الغفار: (هو المبالغ في الستر فلا يشهر الذنب لا في الدنيا ولا في الآخرة)[4].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعاء ٨/ ٤٢٤، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٦٤، ٢٦٧، وذكره ابن خزيمة في التوحيد ص١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) رواه البخاري ٤٧٥٠، ٤٧٥٧، ومسلم ٢٧٧٠.

(٣) اشتقاق أسماء الله ص٩٣ ـ ٩٤، تفسير أسماء الله للزجاج ص٣٨.

(٤) الأسماء والصفات ١/ ١٥٠.

فالله ﷻ يتفضل على عباده ويغفر لهم في كل وقت من ليل أو نهار وهو سبحانه لا يفضحهم ولا يعلم عباده بذنوبهم فهو ﷻ: (يغفر ولا يوبخ ثم إن العبد يتعرض لمعاصي الله في كل وقت وستره عليه مسبل فالحمد لله على إحسانه إلى خلقه)[١].

وقد ذكر هذا الحديث القدسي شارح الطحاوية وغيره من الأئمة في باب إثبات عقيدة أهل السنة والجماعة في تكفير المعين وبيان المسألة إننا لا نشهد على أحد من أهل الوعيد (من ارتكب الكبائر) بالكفر إلا بأمر تجوز معه الشهادة لأنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار فإن هذا حكم الكافر بعد الموت واستشهد شارح الطحاوية بهذا الحديث القدسي في أصل الباب «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين. . . الحديث». ثم أوضح العلة في ذلك لأسباب ثلاثة مهمة جداً:

أولها: لأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له.

ثانيها: يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص.

ثالثها: يمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر الله للذي قال: «إذا مت فاسحقوني ثم ذروني، ثم غفر الله له لخشيته»[٢]. وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شك في ذلك[٣].

OOOOO

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/١٣٢ ـ ١٣٥.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء ح٣٤٨١، ومسلم في كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى ح٢٧٥٦.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٤٣ ـ ٢٤٤ ترتيب خالد فوزي.

صفة الرزق

۞ الحديث القدسي:

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «قال إبليس: يا رب ليس أحد من خلقك إلا جعلت له رزقاً ومعيشة فما رزقي؟ قال: ما لم يذكر عليه اسمي»[1].

۞ الأصل العقدي:

إثبات صفة الرزق لله تعالى.

١ ـ إثباتها من القرآن:

إثباتها من الاسم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

وورد بصيغة الرازق، قال تعالى: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

إثباتها من الفعل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

٢ ـ إثباتها من السنة الصحيحة:

«لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً»[2].

---

(١) صحيح ذكره الألباني في الصحيحة ٢/٨٠ معزواً لأبي الشيخ من كتاب العظمة ولأبي نعيم في الحلية وقال: الهيثم ثقة نبيل ومن فرقة ثقات من رجال الشيخين فالحديث صحيح الإسناد.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ١/٣٠، والترمذي حديث رقم ٢٣٤٤، وابن ماجه، حديث رقم ٤١٦٤، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ص٣١٠.

۞ **أقوال السلف:**

قال الخطابي: (وهو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته فلم يختص بذلك مؤمناً دون كافر، ولا ولياً دون عدو، يسوقه على الضعيف الذي لا حيلة له، ولا متكسب فيه، كما يسوقه إلى الجلد القوي ذي المرة السّوي، قال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦])[(١)].

وقال السعدي: (الرازق لجميع عباده فما من دابة على الأرض إلا على الله رزقها، ورزقه لعباده نوعان:

١ - رزق عام شمل البر والفاجر، والأولين والآخرين وهو رزق الأبدان. وهذا رزق دنيوي.

٢ - رزق خاص وهو (رزق القلوب) وتغذيتها بالعلم والإيمان، والرزق الحلال الذي يُعين على صلاح الدين، وهذا خاص بالمؤمنين على مراتبهم منه بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته)[(٢)].

وقال الطبري: (هو الرزاق خلقه المتكفل بأقواتهم)[(٣)].

وقال ابن القيم في النونية:

وكذلك الرزاق من أسمائه ... والرزق من أفعاله نوعان
رزق على يد عباده ورسوله ... نوعان أيضاً ذان معروفان
رزق القلوب العلم والإيمان ... والرزق المعد لهذه الأبدان

---

(١) شأن الدعاء ص٥٤، والاعتقاد ص٥٧.
(٢) تيسير الكريم المنان ص٧٢، وانظر: العثيمين: شرح الواسطية ١/٢٠٣.
(٣) جامع البيان ٨/٢٧.

هذا هو الرزق الحلال وربنا رزاقه والفضل للمنان

والثاني سوق القوت للأعضاء في تلك المجاري سوقه بوزان[1]

وصفة الرزاق: صيغة مبالغة من الرزق وهو العطاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء: ٨]. أي أعطوهم.

OOOOO

(١) العثيمين: شرح الواسطية ١١/٢٠٢.

صفة الخلق

۞ الحديث القدسي:

الحديث الأول: حديث أبو زرعة قال: دخلت مع أبي هريرة داراً بالمدينة فرأى أعلاها مصوراً يصور، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلق الله فليخلقوا حبة وليخلقوا ذره» ثم دعا بتور من ماء فغسل يديه حتى بلغ إبطيه، فقلت: يا أبا هريرة أي شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: منتهى الحلية[1].

الحديث الثاني: عن نسر بن جحاش القرشي أن النبي ﷺ بزق يوماً في كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال: «قال الله تعالى: يا ابن آدم أنىٰ تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدّلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق وأنى أوان الصدقة؟!»[2].

۞ الأصل العقدي:

إثبات صفة الخلق لله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري ٧/ ٩، ٢١٥/ ١٩٧، وأخرجه مسلم ٣/ ١٦٧١، وأخرجه الإمام أحمد ١٢/ ٧١٦٦، ١٧/ ٩٠٦٦. قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٠/ ٥٩٥٣: وليس بين ما دل عليه الخبر من الزجر عن التصوير وبين ما ذكر من وضوء أبي هريرة مناسبة وإنما أخبر أبو زرعة بما شاهد وسمع من ذلك.

(٢) صحيح أخرجه أحمد ٤/ ٢١٠، وابن ماجه ٢/ ٢٧٠٧، والحاكم في مستدركه ٤/ ٣٢٣، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير ٦/ ٨٠٢٢، وفي صحيحه ٣/ ١١٤٣، ١٠٩٩.

من القرآن:

من الاسم:

قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ [الحشر: ٢٤].

وورد بصيغة الخلاق مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾ [الحجر: ٨٦].

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٥٩﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩]. وغيرها من الآيات.

من الفعل:

مثل قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢].

وقوله تعالى: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ [الزمر: ٦]. وغيرها الكثير..

إثباتها من السنة:

والأحاديث في إثبات هذه الصفة كثيرة منها:

قوله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان وبيصاً من نور ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب من هؤلاء، قال هؤلاء ذريتك فرأىٰ رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب، من هذا قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، قال رب كم عمره؟ قال: ستون سنة قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضىٰ عمر آدم، جاء ملك الموت، قال: أولم يبق من عمري أربعين سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود؟ قال فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته»[1].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب التفسير، رقم ٣٠٧٦، وقال: حديث حسن صحيح، =

وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار»[1].

إثباتها من أقوال السلف:

قال الخطابي: (الخالق هو المبدع للخلق والمخترع له على غير مثال سابق قال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣])[2].

وذكر ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]:

(يخبر الله تعالىٰ ذكره أنه خلق آدم بيديه ثم أورد أثراً عن ابن عمر قال: خلق الله بيده العرش وعدن والقلم وآدم ثم قال لكل شيء: كن فكان)[3].

وقال الزجاج: (فالخلق في اسم الله تعالى هو ابتداء تقدير النشء، فالله خالقها ومنشئها وهو مُتممها تبارك الله أحسن الخالقين)[4].

○○○○○

= ورواه الحاكم ١٢/ ٦٤ وصححه الذهبي وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة، حديث رقم ٤٧٠٣، والترمذي في التفسير حديث رقم ٣٠٧٥ وقال: حسن، أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) شأن الدعاء ص٤٩.

(٣) جامع البيان ٢٢٣/١١٩. والذي ذكره إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين. (انظر: النهج الأسمى للنجدي ١/ ١٦١، وانظر: الذهبي: العلو ص٦٦).

(٤) تفسير الأسماء ص٣٦ ـ ٣٧، وانظر: الاعتقاد للبيهقي ص٥٦.

صفة التوبة

۞ الحديث القدسي:

الحديث الأول: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفه وإنه ليدنوا ثم يباهي بهم الملائكة ويقول: ما أراد هؤلاء؟»[(1)].

الحديث الثاني: عن ابن عمر قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ في مسجد منًى فاتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا: يا رسول الله جئنا نسألك فقال: إن شئتما أخبرتكما بما جئتماني تسألاني عنه فعلت، وإن شئتما أن أمسك وتسألاني فعلت فقالا: أخبرنا يا رسول الله. فقال الثقفي للأنصاري: سل. فقال: أخبرني يا رسول الله. فقال جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ومالك فيه. وعن ركعتيك بعد الطواف ومالك فيهما، وعن طوافك بالصفا والمروة ومالك فيه. وعن وقوفك عشية عرفه مالك فيه وعن رميك الجمار ومالك فيه. وعن نحرك ومالك فيه، وعن حلقك رأسك ومالك فيه، وعن طوافك بالبيت بعد ذلك ومالك فيه مع الإفاضة. فقال والذي بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك. فقال: «فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفاً وترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ومحا عنك خطيئة. وأما ركعتاك بعد

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٢/ ٩٨٢، والإمام أحمد ١٥/ ٨٠٣٣، ٢/ ٢٢٤، ورواه النسائي ٥/ ٢٥١، وابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٢٨٢٧، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٣٣٤.

الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل، وأما طوافك بالصفا والمروة بعد ذلك كعتق سبعين رقبة، وأما وقوفك عشية عرفه فإن الله تبارك وتعالى يهبط إلى السماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة فيقول: عبادي جاءوني شعثا من كل فج عميق يرجون جنتي فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل أو كقطر المطر، أو كزبد البحر لغفرها أو لغفرتها أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعتم له، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها كبيرة من الموبقات، وأما نحرك فمدخور لك عند ربك، وأما حلاقة رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة، ويمحي عنك بها خطيئة، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك يأتي مالك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول: اعمل فيما يستقبل فقد غفر لك ما مضى»(١).

الحديث الثالث: عن أبي واقد الثقفي قال: كنا نأتي النبي ﷺ إذا نزل عليه فيحدثنا فقال لنا ذات يوم: «إن الله ﷻ قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون إليها ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا الترب، ثم يتوب الله على من تاب»(٢).

الحديث الرابع: عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني أن اقرأ عليك القرآن فقرأ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١].

ومن نعتها: «لو أن ابن آدم سأل واد من مال فأعطيته سأل ثانياً،

(١) حديث حسن. أخرجه البزار ٢/١٠٨٢ كشف الأستار، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٧٤. وقال الهيثمي: ورجال البزار موثوقون، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/١٣٧٣ معزواً للطبراني عن ابن عمر وقال الألباني: حسن.

(٢) الحديث صحيح. أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٢١٨.

ويوجد بعضه في صحيح البخاري من قوله ﷺ: «ولو كان لابن آدم واديان» إلى قوله: «ويتوب الله على من تاب» ٨/١١٥، والحديث في مجمع الزوائد ٧/ ١٤٠، وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح، وذكره الألباني في صحيحه ٤/١٦٣٩.

وإن أعطيته سأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، وإن الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية ولا النصرانية، ومن يعمل خيراً فلن يكفره»[١].

۞ الأصل العقائدي:

إثبات صفة التوبة له تعالى ﷻ.

۞ إثباتها من القرآن:

من الفعل في أدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨].

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: ٧١].

من الاسم قول تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٦].

۞ إثباتها من السنة:

قوله ﷺ: «أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»[٢].

---

(١) الحديث صحيح. أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٢٤، وقال: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والحديث بمعناه في الصحيحين وغيرهما. انظر: البخاري ٨/ ١١٥.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب ١٧/٧٦.

◌ من أقوال السلف في صفة التوبة:

يقول الخطابي: «والله تواب يتوب على عبيده أي يقبل توبته، كما أنه سبحانه وفقه للتوبه، وتوبة الله على عبده أن يعود عليه بالمغفرة بفضله إذا تاب العبد من ذنبه»[١].

وكما يقول العلماء توبة العبد محفوفة بتوبتين من ربه: قبل التوبة حيث أقبل العبد بقلبه إلى ربه، وبعد التوبة بالقبول والإحسان.

يقول الإمام ابن القيم في نونيته:

وكذلك التواب من أوصافه ... والتوب في أوصافه نوعان
إذنً بتوبة عبده وقبولها ... بعد المتاب بمنة المنان

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي يتوب على من تاب إليه وأناب، فهو سبحانه يغفر الذنوب ويتوب على من يتوب، وهذا من لطفه بخلقه ورحمته بعبيده[٢].

○○○○○

(١) انظر: شأن الدعاء ص٩٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٧٥ بتصرف.

صفة المحبة

۞ **الحديث القدسي:**

الحديث الأول: حديث يثبت صفة المحبة والضحك:

عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يحبهم الله تعالى ويضحك إليهم ويستبشر بهم، الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله ﷻ فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله ﷻ ويكفيه فيقول: انظروا على عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟ والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقول من الليل فيقول: يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد. والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر في ضرّاء وسرّاء»(١).

الحديث الثاني: حديث يثبت صفة الضحك فقط:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (يضحك الله ﷻ من رجلين: رجل لقي العدو وهو على فرس من أمثل خيل أصحابه فانهزموا وثبت فإن قتل استشهد وإن بقي فذلك الذي يضحك الله ﷻ إليه، ورجل قام في جوف الليل لا يُعلم به فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم حمد الله ومجده وصلى على النبي ﷺ واستفتح القرآن، فذلك الذي يضحك الله ﷻ إليه يقول: انظروا إلى عبدي فإنما لا يراه غيري»(٢).

---

(١) حديث حسن. ذكره المنذري وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن ١/٥٥٦، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي الدرداء مرفوعاً ٢/٢٥٥، وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.

(٢) حسن لغيره. أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ٢١٦/٧٦١، وعبد الرزاق في المصنف ١١/٢٠٢٨١.

الحديث الثالث: في الحديث المرفوع إلى أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يحبهم الله ﷻ: رجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلفهم رجل بأعقابهم فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله ﷻ والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يُعدل به نزلوا فوضعوا رؤوسهم (فقام يتملقني ويتلو آياتي) ورجل كان في سرية فلقوا العدو فانهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له»(١).

۞ الأصل العقدي:

إثبات صفة المحبة.

۞ إثبات صفة المحبة من القرآن:

من الفعل: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ . . .﴾ الآية [المائدة: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

۞ إثبات صفة المحبة من السنة:

قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله»(٢).

وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب»(٣).

---

(١) صحيح. أخرجه النسائي ٣/٢٠٧، ورواه أحمد في مسنده ٥/١٥٣، والترمذي في سننه ٤/٢٥٦٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري ٨/١٤، ٧١/١٠٤، ورواه مسلم رقم ١٠.

(٣) رواه البخاري ٨/٦١ ـ ٦٢، والإمام أحمد ٢/٢٦٥، ٢٤٨، ٥١٧ وغيرهما.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»[(١)].

◌ أقوال السلف:

يقول شارح الواسطية: (محبة الله مرتبة عظيمة، ووالله إن محبة الله لتشترى بالدنيا كلها أو هي أعلى من أن تحب الله، فكون الله يحبك أعلى من أن تحبه أنت، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وهذه الآية وغيرها تثبت صفة المحبة لله تعالى»[(٢)].

فقال في إثباتها عقلاً: (إثابة الطائعين بالجنات والنصر والتأييد وغير ذلك من هذا يدل بلا شك على المحبة)[(٣)].

ooooo

(١) رواه الإمام مسلم في الزهد، والإمام أحمد في مسنده ١/١٦٨، وذكره المنذري في الترغيب ٣/٤٣٩ وغيرهم.

(٢) انظر: العثيمين، شرح الواسطية ١/٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٣) المرجع السابق ١/٢٤١، وقد أسهب ﷺ في إثبات هذه الصفة نقلاً وعقلاً. انظر من صفحة ٢٢٤ ـ ٢٤٨.

صفة الضحك

لم يرد في القرآن وصفاً لله تعالى وهو ثابت في السنة.

۞ إثباتها من السنة:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «إن الله يضحك من رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة»[(١)].

«إن الله يضحك منكم... الحديث»[(٢)].

وحديث ابن مسعود ﷺ في ذكر آخر أهل النار خروجاً منها وهو حديث طويل وفي آخره أن النبي ﷺ ضحك فقالوا له: لم تضحك يا رسول الله؟. قال: «من ضحك رب العالمين»[(٣)].

۞ أقوال السلف في هذه الصفة:

قال الإمام أحمد: (يضحك الله ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ فأثبت هذه الصفة، وأنكر على من أولها، وهي صفة الله لا يجوز أن نستوحش من إطلاقها لورود السمع بذلك كما لا يستوحش من إطلاق ذلك في غيرها من الصفات، والضحك يدل على الرضا، والرضا يدل على العفو والمغفرة)[(٤)].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٥١١، ورواه البخاري رقم ٢٨٢٦، ومسلم رقم ١٨٩٠.

(٢) مصنف عبد الرزاق، حديث رقم ٢٠٢٨٣.

(٣) رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وخروج الموحدين من النار ٣/ ٣٠ ـ ٣١ دار الفكر.

(٤) انظر: إبطال التأويلات ١/ ٢١٧ ـ ٢٢٠.

وقال ابن خزيمة: (الضحك ثابت لله ﷻ، وهو ضحك حقيقي لكنه لا يماثل ضحك المخلوقين فنؤمن أن الله يضحك، ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا، لأنه استأثر بصفة ضحكه لم يطلعنا على ذلك، فهو ضحك يليق بجلاله وعظمته)[1].

وقد ذكر السلف أيضاً أن الله ﷻ يضحك كما يشاء ويقصد بضحكه أولياءه عندما يعجبه أفعالهم، ولا يضحك سبحانه إلا عن رضا، وهي صفة مدح وكمال، والضحك مقرون بالإحسان المحمود، فإن الشخص العبوس الذي لا يضحك مذموم بذلك[2].

○○○○○

---

(١) التوحيد ٢/٥٦٢، وانظر: العثيمين: شرح الواسطية ٢/ ٢٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٦١ ـ ٦٢، ورد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص١٧٥ ـ ١٨٠.

صفة العجب

○ **الحديث القدسي:**

الحديث الأول: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم - يعني أصحابه - فعلم ما عليه فرجع حتى أهريق دمه فيقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه»(١).

الحديث الثاني: وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «عجب ربنا ﷻ من رجلين: رجل ثار عن وطائه ولحاه من بين أهله وحِبِّه إلىٰ صلاته فيقول ربنا: أيا ملائكتي انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطائه ومن بين حيِّه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله ﷻ فانهزموا فعلم ما عليه من الفرار وماله في الرجوع فرجع حتى أهريق دمه رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي فيقول الله ﷻ لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ورهبة مما عندي حتى أهريق دمه»(٢).

الحديث الثالث: عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يعجب ربكم من راعي غنم في رأس شظية بجبل يؤذن بالصلاة ويصلّي فيقول الله ﷻ: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف

---

(١) حديث حسن. أخرجه أبو داود ٣/٢٥٣٦، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٢/٥٥١، وقال شارح الجامع الصغير: إسناده حسن. قاله الدكتور خليل هراس في هامشه وذكره الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤/٣٨٧٦ وقال: حسن.

(٢) صحيح. أخرجه الإمام أحمد ٦/٣٩٤٩، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٢٥٥، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير وإسناده حسن.

مني فقد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة»[1].

۞ الأصل العقدي:

إثبات صفة العجب الله تعالى.

۞ إثباتها من السنة:

عن النبي ﷺ: «إن الله يعجب من سائل...»[2].

وعن أبي رزيق عن النبي ﷺ أنه قال: «عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَره»[3].

۞ أقوال السلف في صفة العجب:

يقول الشيخ العثيمين رحمه الله في هذه الصفة:

(وقد دل على هذه الصفة القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢﴾ [الصافات: ١٢] ويوضح رحمه الله أن صفة العجب عند الله ليست كعجب المخلوقين إذا المخلوق يعجب لخفاء الأسباب وعدم توقعه لها وهذا يستحيل على الله، فالعجب لله تعالى يكون سببه خروج هذا الشيء عن نظائره ومما ينبغي أن يكون عليه، بدون قصور من المتعجب، وهذا ثابت لله تعالى، لأنه ليس عن نقص من المتعجب، ولكنه عجب بالنظر إلى حال المتعجَّب منه[4].

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود في سننه ٢/ ١٥٣، ورواه النسائي ٢/ ٢٠، وأحمد في مسنده ٤/ ٥٨ ـ ١٥٧ وغيرهم، وذكر الألباني في صحيح الترغيب ١/ ٢٤١، وقال: حديث إسناده صحيح.

(٢) كنز العمال رقم ٣٢٦٠، ٤٣٢٧٦، جمع الجوامع للسيوطي رقم ٥٢٦٥، وانظر: تاريخ بغداد للبغدادي ٩/ ٢٦٧.

(٣) وقرب غيره: الواو بمعنى مع يعني: مع قرب غيره. والغير: اسم جمع غِيَرَة، كطير اسم جمع طيرة، وهي اسم بمعنى التغيير وعلى هذا فيكون المعنى: وقرب تغييره. (انظر: العثيمين: شرح الواسطية ١/ ٢٧).

(٤) انظر: شرح الواسطية ٢/ ٢٧ ـ ٢٨.

المبحث الثالث

رؤيـــة الله ﷻ

۞ الحديث القدسي:

الحديث الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه: إن الناس قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة» فيقول: «من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ﷻ، فإذا جاء ربنا ﷻ عرفناه، فيأتيهم في صورته التي يعرفون فيقول: **أنا ربكم**، فيقولون: أنت ربنا فيدعوهم فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلّم سلّم»[(1)].

الحديث الثاني: عن أبي سعيد قال: قلنا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم، فهل تضارون في رؤية الشمس

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ٣٨١، حديث رقم ٧٦٢، كتاب الأذان، ومسلم ٣/ ٢٥ ـ ٢٨، كتاب الإيمان.

* ملحوظة: أحاديث الرؤيا التي أسوقها هنا ليست صريحة في أنها قدسية أي: لا تبدأ بقول الرسول ﷺ: يقول الله تبارك وتعالى، وإنما هي أحاديث للرسول ﷺ يتضمنها قول الله ﷻ.

بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ هل تضارون في رؤية القمر ليلة القدر صحواً ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما: إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأصناب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال: فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا: فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً، حتى إن بعضهم يكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها، فيقولون: نعم، فيكشف عن ساقه، ولا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا من أذن الله له بالسجود، ولا يتبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم قد تحول إلى الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم»(١).

والحديث القدسي يتمثّل في قول الله تعالى: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾ وإثبات الرؤية من حديث رسول الله ﷺ.

الحديث الثالث: (حديث اختصام الملأ الأعلى) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أتاني ربي عز وجل الليلة في أسحن صورة أحسَبُه يعني في النوم فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا، قال النبي ﷺ: فوضع يده بين كتفيّ حتى وجدتُ بروها بين ثديّي أو قال: نحري، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض. ثم قال: يا

(١) أخرجه البخاري ٧٩٨/٩، حديث رقم ٢٢٣٩، كتاب التوحيد، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم ١٨٢.

محمد، هل تدري فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: نعم، يختصمون في الكفّارات والدرجات، قال: وما الكفّارات والدرجات؟ قال: المُكث في المساجد، والمشي على الأقدام إلى الجمعات وإبلاغ الوضوء في المكاره، ومن ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقل يا محمد إذا صليت: اللهم إني أسألك الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون، قال: والدرجات: بذل الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام»[1].

الحديث الرابع:

عن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله ﷻ تريدون شيئاً أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦][2].

۞ الأصل العقدي:

إثبات رؤية الله تعالى في الموقف وفي الجنة.

إثبات الرؤية في الجنة من السنة: عن أبي موسى الأشعري قوله ﷺ: «جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجه في جنة عدن»[3].

---

(١) الحديث صحيح. رواه الترمذي في سننه ٥/ ٣٢٣٣، ورواه الإمام أحمد في مسنده رقم ٣٤٨٤، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/ ٥٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم.

(٣) أخرجه البخاري ٦/ ٥٢٥، حديث رقم ١٣٠٣ في كتاب تفسير سورة الرحمن، وأخرجه مسلم ٤/ ١٦، كتاب الإيمان.

۞ أقوال السلف الصالح:

وقد ساق شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الأحاديث في إثبات الرؤية وبيّن رَحِمَهُ اللهُ سبب ذكر الرسول ﷺ الشمس والقمر في (الحديث الثاني) بأنه ليس في الموجودات المرئية في الدنيا أعظم من هذين ولا يمكن أن يراهما الإنسان أكمل من الرؤية التي وصفها النبي ﷺ، وهذا يبيّن أن المؤمنين يرون ربهم أكمل ما يُعرف من الرؤية(١).

ويقول: «نعم رؤية الله تعالى بالأبصار هي للمؤمنين في الجنة وهي أيضاً للناس في عرصات يوم القيامة»(٢)

ويقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: من كذب بالرؤية فهو زنديق، وقال رَحِمَهُ اللهُ: نؤمن بها أي الرؤية وأحاديثها ونعلم أنها حق فنؤمن بأن الله يرى، نرى ربنا يوم القيامة لا نشك ولا نرتاب، وقال أيضاً: من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره، يُستتاب فإن تاب وإلا قتل(٣).

وأما الحديث الرابع فقد ذُكر عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقرأ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فقالوا: ما الزيادة يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: «النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

وكان أبو موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم، فقال: ما صرف أبصاركم عني؟ قالوا: الهلال، قال: فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله تعالى جهرة؟ وقال أنس ابن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة(٤).

---

(١) بغية المرتاد ص٥٢٩، تحقيق موسى الدويش.
(٢) المرجع السابق.
(٣) انظر: السفاريني: لوامع الأنوار ٢/٢٤٦.
(٤) انظر فيما سبق: معارج القبول للحكمي ١/٢٩٨.

أما أقوال التابعين في هذا فكثيرة ومنها:

فقد قال الأعمش وسعيد بن جبير رحمهما الله: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية.

وقال هشام بن حسان: إن الله سبحانه يتجلى لأهل الجنة فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة.

وقال طاوس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنّة[١].

وقد قال عبد الله بن حنبل عن أبيه: رأيت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصحح الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ في الرؤية ويذهب إليها، وجمعها أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب وحدثنا بها[٢].

وقد أُثر عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالاً عديدة في إثبات الرؤية، ومن هذه الأقوال للإمام أحمد قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة فهو كافر». وفي رواية: «فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره والله تعالى لا يرى في الدنيا ويُرى في الآخرة»[٣].

وسأل أحدهم الإمام أحمد عمن يبطل الرؤية، ويقول: إن الله تبارك وتعالى لا يُرى في القيامة؟ فقال: هذا من الجهمية من زعم أن الله لا يُرى في القيامة فقد أبطل حديث رسول الله ﷺ[٤].

وبلغ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رجل أنه قال: إن الله لا يُرى في القيامة

---

(١) انظر: المرجع السابق، وشرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة للالكائي ٣/ ٤٥٤.

(٢) انظر: الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، جمع وتحقيق د. عبد الإله الأحمدي، ٢/٢١٥.

(٣) انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٥٩.

(٤) المرجع السابق ١/ ١٣.

فقال: لعنه الله من كان من الناس أليس الله يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

۞ معنى تشبيه الرسول ﷺ الرؤية برؤية الشمس والقمر:

وقد ذكر الإمام المقدسي أن تشبيه الرسول ﷺ رؤية الله بالشمس والقمر بأنه تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير[1]، أي أن تشبيه الرسول يقصد به (وضوح الرؤية) فكما يُرى القمر حقيقة وتكون هذه الرؤية واضحة فكذلك يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة.

ومعنى تضامّون ـ بالضم والتشديد ـ أي لا تجتمعون لرؤيته في جهة ولا يضم بعضكم إلى بعض، ومعناه أيضاً: لا تتضامون في رؤيته باجتماع في جهة (إذا كان بالفتح)، ومعناه بالتخفيف: أي لا تظلمون فيه برؤية بعضكم دون بعض، فإنكم ترونه في جهاتكم كلها وهو متعال عن الجهة، والتشبيه برؤية القمر للرؤية دون التشبيه للمرئي تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[1].

وقد أنكرت الرؤية المعتزلة والجهمية مستدلين بآيات من القرآن متأولين فيها، وبعضها من المتشابه كما في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقد رد عليهم السلف مقولتهم هذه في كتب كثيرة منها: كتاب الإمام أحمد رحمه الله الرد على الجهمية، والإمام ابن القيِّم في الصواعق المرسلة وشيخ الإسلام في فتاواه وغيرهم من الأئمة.

وما سقناه من الأحاديث الصحيحة كافٍ في الرد عليهم، فرؤية الله في الآخرة من الأمور الثابتة عند أهل السنّة والجماعة، وهي نعمة من الله على عباده لا يساويها أي نعمة حتى السكن في دار النعم، ولذة لا تعادلها لذة.

---

(١) انظر: العقيدة الصافية ص٢٠٥.

أما حديث اختصام الملأ الأعلى: فأوردته لأوضح فيه مسألة: هل رأى محمد ربه؟ وهي المسألة التي اختلف فيها كبار الصحابة مع أم المؤمنين عائشة ﵂، وما أُثر عنهم ﵃ من أدب مع المخالفين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «فعائشة أم المؤمنين ﵂ قد خالفت ابن عباس وغيره من الصحابة في أن محمداً ﷺ رأى ربه، وقالت: «من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله تعالى الفرية». وجمهور الأمة على قول ابن عباس، مع أنهم لا يبدعون المانعين الذين وافقوا أم المؤمنين ﵂»[1].

فابن عباس ﵄ اعتمد على نص هذا الحديث الشريف (حديث اختصام الملأ الأعلى)، فقد قال فيه ﷺ: «رأيت ربي»، أما عائشة ﵂ فقد سمعت أحاديث أُخر من الرسول ﷺ عندما سُئل: هل رأيت ربك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «رأيت نوراً»[2].

۞ أدب الاختلاف:

ومما نستفيده من هذه المسألة أدب الصحابة رضوان الله عليهم ضد اختلاف آرائهم عن التقدير والاحترام فبعضهم البعض مع عدم التخطئة والتنسق وهذا هو منهج أهل السنّة في الحكم على المخالفين.

يقول شيخ الإسلام:

«وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها: على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل بالاجتهاد في مسائل العبادات والمناكح والمواريث والعطاء والسياسة وغير ذلك، وحكم عمر أول عام في الفريضة الحمارية بعدم التشريك، وفي العام الثاني بالتشريك في واقعة مثل الأولى،

---

(١) انظر: الفتاوى ٢٤/ ١٧٢.

(٢) الحديث رواه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٣٣٣).

ولما سئل عن ذلك قال: تلك على ما قضينا وهذه على ما نقضي، وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص إنهم لا يجتمعون على باطل ولا ضلالة ودلّ الكتاب والسنّة على وجوب متابعتهم، وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية، كسماع الميت صوت الحي وتعذيب الميت ببكاء أهله، ورؤية محمد ﷺ ربه قبل الموت مع بقاء الجماعة والألفة».

وذلك لأن الأُلفة والاجتماع فرض فتعين رغم الاختلاف، فلو اختلفت الأمة بقلوبها ضد اختلاف الآراء لحصل ما لا يحمد عقباه وتمكن منها الأعداء، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

فهذه المسائل منها ما أحد القولين خطأ قطعاً، ومنها ما المصيب في نفس الأمر، واحد عند الجمهور اتباع السلف، والآخر مؤدٍ لما وجب عليه بحسب قوة إدراكه، وهل يقال: مصيب أو مخطئ، فيه نزاع. ومن الناس من يجعل الجميع مصيبين ولا حكم في نفس الأمر، **ومذهب أهل السنة والجماعة** أنه لا إثم على من اجتهد وإن أخطأ، أما وجه المخالفة فالأنبياء معصومون عن الإقرار على الخطأ بخلاف الواحد من العلماء والأمراء فإنه ليس معصوماً من ذلك، ولهذا يسوغ بل يجب أن نبين الحق الذي يجب اتباعه وإن كان فيه بيان خطأ من أخطأ من العلماء والأمراء، وأما المشابهة فلأن كلاً مأمور باتباع ما بان له من الحق بالدليل الشرعي وليس لأحدهما أن يوجب على الآخر طاعته، كما ليس ذلك لأحد النبيين مع الآخر، وقد يظهر له من الدليل ما كان خافياً عليه فيكون انتقاله بالاجتهاد وعن الاجتهاد.

والجمهور: يقولون للمخطئ أخطأ لكن خطؤه معذور فيه(١).

---

(١) بتصرف من الفتاوىٰ، ٩/١٢٣ ـ ١٢٤، ويرجىٰ مراجعة المسألة بدقة في الصفحات ١٢٥ والتي تليها.

الفصل الثالث

الإيمان باليوم الآخر

المبحث الأول: الإيمان بالبعث.

المبحث الثاني: الإيمان بالجنة والنار.

المبحث الثالث: الإيمان بالعرض والسؤال ـ الميزان
الشفاعة ـ الصراط.

المبحث الأول

الإيمان بالبعث

۞ الحديث القدسي:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك، أما تكذيبه إياي أن يقول إني لن أُعيده كما بدأته، وأما تشمه إياي أن يقول: اتخذ الله ولداً وأن الصمد الذي لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كُفؤاً أحد»[1].

وعنه أيضاً قال النبي ﷺ: «يقول الله: شتمني ابنُ آدم، وما ينبغي له أن يشتمني، وتكذّبني، وما ينبغي له، أما شتمه فقوله: إن لي ولداً، وأما تكذيبه فقوله ليس يعيدني كما بدأني»[2].

معنى البعث في اللغة: الإثارة ويأتي بمعنى الإرسال كما في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾ [الأعراف: ١٠٣].

وفي الشرع: خروج الناس من قبورهم للحساب والجزاء.

۞ الأصل العقدي:

الإيمان بالبعث، وإحياء الأموات ونشرهم من قبورهم ليوم الحساب ثم حشرهم في صعيد واحد للقضاء بينهم، ومن ثم يتميز فريق

---

(١) أخرجه البخاري ٦/ ٢٢٢، والنسائي في سننه ٤/ ١١٢.

(٢) أخرجه البخاري ٤/ ١٢٩.

الجنة وفريق السعير من الإيمان باليوم الآخر وهي من أركان الإيمان.

قال تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩ ـ ٥٠].

والإيمان بالبعث من الأمور التي جاء بها النبي ﷺ وأمر بالإيمان بها، وقررها قبله جميع أنبياء الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليهم. قال تعالى لما أهبط آدم إلى الأرض: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٤ ـ ٢٥].

وقال سبحانه على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧ ـ ١٨].

وقال على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١].

وقال سبحانه لموسى لما فاجأه: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٥ ـ ١٦].

وقد رد الله في القرآن على من أنكر البعث ودحض قولهم فقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٩ ـ ٥٢].

وقد أفاض شارح الطحاوية في شرح هذه الآيات التي تثبت البعث وتبين خطأ من أنكر البعث ومما قاله رحمه الله: إن كنتم تزعمون أنه لا

خالق لكم ولا رب لكم، فهل كنتم خلقاً لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد، وما هو أكبر في صدوركم من ذلك؟ فهو قادر حتى لو كنتم كذلك على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم وينقلها من حال إلى حال، مع شدة هذه المواد وصلابتها فكيف إذاً يعجز فيما هو أقل منها؟ ثم أخبر أنهم يسألون سؤالاً آخر بقولهم: من يعيدنا إذا استمالت جسومنا وفنيت؟ فأجابهم بقوله: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١] فلما أخذتهم الحجة، ولزمهم حكمها، انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به وهو قولهم: متى هو؟ فأجيبوا: «قل عسى أن يكون قريباً»[1] وبهذا انقطعت حجتهم وبطل قولهم.

فالله سبحانه قادر على إعادة الموتى بعد فناء أجسامهم وأكل الأرض لها، لأنه سبحانه هو الذي خلقهم أول مرة من عدم «إذ كل عاقل يعلم علماً ضرورياً أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز»[2].

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يسٓ: ٧٨ ـ ٧٩].

وبيّن ﷻ في كتابه الكريم أن خلق السموات، والأرض أكبر من خلق الناس: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧]، وأن الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق أو يحيي عظاماً قد أحيلت إلى رميم.

يقول سبحانه: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ٢/ ٩٦١ ـ ٩٦٢ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٩٦٢ ـ ٩٦٣.

فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يسٓ: ٨١ - ٨٣].

◌ كيف يبدأ البعث:

يبدأ البعث بالنفخ في الصور، والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل، فيموت الخلق ثم ينفخ فيه أخرى فيقومون لرب العالمين، للحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وتسمى النفخة الأولى بالصور: نفخة الفزع يفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله.

والنفخة الثانية: نفخة البعث فيقوم الناس من قبورهم لله رب العالمين وبينهما أربعون[١].

◌ الحكمة من البعث:

١ - إثبات قدرة الله ﷻ وعظمة ملكوته ﷻ حيث إنه يتصرف بما شاء كيف شاء.

٢ - إثبات فناء هذه الحياة الدنيا، وأنها ليست بدار بقاء، إنما دار مرور زرع وعمل.

٣ - في إثبات البعث والحساب إثبات لعدل المولى ﷻ، حيث يملي للظالم حتى يأخذه، ولو تُرك الظالم والكافر بدون بعث ولا حساب فكيف يقتص للمظلوم.

ooooo

(١) (ولا ندري هي أربعون يوماً أو شهراً أو سنة) لما جاء في صحيح مسلم ٤/ ٢٢٧٠، والبخاري ٨/ ٥٥١.
وقال ابن حجر: أن التحديد بأربعين سنة من أوجه ضعيفة. الفتح ٨/ ٥٢٢.

المبحث الثاني

الإيمان بالجنة والنار

۞ **الحديث القدسي:**

الحديث الأول: عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ثم قال الرسول ﷺ: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»(١).

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يعني يقول الله ﷻ: «المجاهد في سبيل الله هو عليّ ضامن إن قبضته أورثته **الجنة** وإن أرجعته رجعته بأجر أو غنيمة»(٢).

الحديث الثاني: عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل من أهل **الجنة** فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي ربِّ خير منزل، فيقول: سل وتمنّ، فيقول: ما أسأل وأتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة، ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدتَ منزلك؟ فيقول: أي ربِّ شر منزل فيقول له: أتفتدي منه بطلاع الأرض ذهباً؟

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب بدء الخلق. انظر: الفتح ٦/٣١٨، رقم الحديث ٣٢٤٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٤/١٦٢٠، وقال: غريب صحيح، وهو في الصحيحين وغيرهما بنحوه من حديث أبي هريرة.

فيقول: أي ربِّ نعم، فيقول: كذبت قد سألتك أقلّ من ذلك وأيسر فلم تفعل فيَرِدُ إلى النار»[١].

الحديث الثالث: عن ابن عباس ﷺ أنه سأل سائل فقال: يا أبا العباس هل للقاتل من توبة؟ فقال ابن عباس كالمتعجب من شأنه: ماذا تقول؟ فأعاد عليه المسألة، فقال له: ماذا تقول؟ مرتين أو ثلاثاً، ثم قال ابن عباس: أنّى له التوبة!! سمعت نبيكم ﷺ يقول: «يأتي المقتول متعلقاً رأسه بإحدى يديه متلبِّباً قاتله بيده الأخرى تشخب أوداجه دماً حتى يأتي به العرش فيقول المقتول لله: رب هذا قتلني، فيقول الله ﷻ للقاتل: تَعِسْتَ ويذهب به إلى النار»[٢].

الحديث الرابع: عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: يا محمد لم أبعث نبياً ولا رسولاً إلا سألني مسألة أُعطيها إياه فسل يا محمد، فقلت مسألتي شفاعة لأمتي يوم القيامة. فقال أبو بكر: ما الشفاعة يا رسول الله؟ قال: أقول: أي ربِّ شفاعتي التي اختبأت عندك فيقول الرب: نعم فيُخرج ربي بقية أمتي من النار وينبذهم في الجنة»[٣].

الحديث الخامس: وهو حديث عدي بن حاتم ﷺ يقول: كنت عند رسول الله ﷺ فجاءه رجلان أحدهما يشكو العَيْلة والآخر يشكو قطع

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٢٠٧، والحاكم في مستدركه ٢/ ٧٥، وذكره الألباني في صحيح الجامع ٦/ ٧٨٧٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٥/ ٣٠٢٩ وحسنه، والنسائي ٧/ ٨٥، وابن ماجه ٢/ ٢٦٢١، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٩٧، وقال: رواه الترمذي والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

(٣) الحديث حسن لغيره. أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ٢/ ٨٢٢، وأخرجه الإمام أحمد ٥/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦، ١٠/ ٣٦٨، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات على ضعف في بعضهم. يقول الضبابطي: وهو بمتابعة عند أحمد يرتقي إلى رتبة الحسن.

السبيل فقال رسول الله ﷺ: «أما قطع السبيل فإنه لا يأتي عليك إلا قليل حتى تخرج العيرُ إلى مكة بغير خفير، وأما العَيْلة فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه ثم ليقفنَّ أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولَنّ له: ألم أوتك مالاً؟ فليقولنّ: بلى، ثم ليقولنّ: ألم أرسل إليك رسولاً؟ فليقولنّ: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شيء له فلا يرى إلا النار، فليتقينّ أحدكم النار ولو بشقة تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة»[1].

۞ الأصل العقدي:

الجنة هي الدار الخالدة والجزاء العظيم والنعيم الدائم الذي أعدّه الله للمتقين المؤمنين أهل طاعته، والإيمان بوجودها وأنها حق من أركان الإيمان باليوم الآخر الذي هو من أركان الإيمان فنؤمن أنها حق وأن بها ما يحير العقل ويُبهر اللّبَ من النعيم الذي يعجز اللسان عن وصفه والعقل عن إدراكه.

روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام بعدما صلى الكسوف قال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أرَ كاليوم منظراً قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء»[2].

أما النار فهي الدار التي أعدّها الله للكافرين والمنافقين والعصاة من المسلمين عقاباً لهم وجزاءً على ما فرطوا. فالإيمان بأنها حق من أركان الإيمان أيضاً، وأن بها من العذاب المقيم ما لا يتصوره عقل من بُعد قعرها، وشدة حرها، ولهيب مائها، ونتانة طعامها وأعاذنا الله منها.

---

(١) أخرجه البخاري ٢/ ١٣٥، ورواه مسلم مختصراً ٢/ ٧٠٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة.

۞ نعيم الجنة:

وقد أفاض العلماء في وصف نعيم الجنة حسب ما توارد في السنّة الصحيحة، وخير من كتب في هذا شيخ الإسلام ابن القيم في كتابه القيم حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، وقد فتح الله عليه في بعض النكت الموفقة أذكر منها:

١ ـ تعليقه رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ [الزمر: ٧١].

ما السر في حذف الواو في آية أهل النار (فتحت أبوابها) وذكره في آية أهل الجنة (وفتحت أبوابها)؟ والجواب هو:

إن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة، حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم ففجأهم العذاب بغتة فحين انتهوا إليها (فتحت أبوابها: بلا مهلة، فإن هذا شأن الجزاء المرتَّب على الشرط أن يكون عقيبه، فإنها دار الإهانة والخزي، فلم يُستأذن لهم في دخولها، وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته، ومحل خواصّه وأوليائه فإذا انتهوا إليها صادقوا أبوابها مغلقة، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله، فكلهم يتأخر عن ذلك، حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم، فيقول: «أنا لها» فيأتي إلى تحت العرش وغير ساجداً لربه فيدعُه ما شاء أن يدعَهُ، ثم يأذن له في رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيماً لخطرها، وإظهاراً لمنزلة رسوله، وكرامته عليه.

وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور (وفتحت..) رويداً رويداً حتى يتمتع المؤمن بالنعيم المقيم في الجنة

فيبهرون كلما فُتح الباب قليلاً، ولئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء فجنة الله عالية غالية، فما لمن اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ولهذه الدار؟!

٢ ـ فإذا دخلها المؤمنون تبقى أبوابها مفتوحة (مفتحة لهم الأبواب) فلم تغلق عليهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم حيث شاؤوا ودخول الملائكة عليهم بالتحف والألطاف من ربهم.

أما أهل النار فيقول تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهمزة: ٨] أي مطبقة مغلقة فبمجرد ما يدخلوها توصد دونهم الأبواب، وليس هذا فحسب بل قد جُعلت لها عُمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الهمزة: ٩][(١)].

بيان وجه الاختلاف في المسافة بين الأبواب:

٣ ـ النكتة الثالثة اللطيفة الذي يذكرها شيخ الإسلام هو: بيان سبب اختلاف الروايات في المسافة بين الأبواب حيث ذكر النبي ﷺ في بعض الروايات: أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة أربعين سنة[(٢)]، وفي بعض الروايات مسيرة سبع سنين[(٣)] وهو أنه لما كانت الجنان درجات بعضها فوق بعض، كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها، وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه، وسعة الباب بسبب وسع الجنة، ولعل هذا وجه الاختلاف الذي جاء في

---

(١) انظر فيما سبق: حادي الأرواح ص٩٦ ـ ٩٩ (بتصرف) تحقيق محمد بن إبراهيم الزغلي.

(٢) عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «توفون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وإنه لكظيظ» (أي من كثرة الزحام) والحديث صحيح رواه الإمام أحمد (٥، ٣).

(٣) عن حكيم بن معاوية عن أبيه يرفعه: «ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين». صحيح رواه ابن أبي داود ٤/ ٦٠.

مسافة ما بين مصرعي الباب فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض[1].

ذكر عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض، ثم قرأ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] إذا هم عندها بشجرة في أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداهما، فلا تترك في بطونهم قذى ولا أذى إلّا رمته، ويغتسلون من الأخرى فتجري عليهم نضرة النعيم، فلا تشعث رؤوسهم، ولا تغيّر أبشارهم بعد هذا أبداً، ثم قرأ: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ فيدخل الرجل وهو يعرف منزله، ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة، فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بمعاينتهم، فتقول: أنت رأيته؟ فتقوم إلى الباب، فيدخل إلى بيته، فيتكئ على سريره، فينظر إلى أساس بيته، فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ، ثم ينظر في أخضر وأحمر وأصفر، ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته، ولولا أنه خلق له لالتمع بصره فيقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣][2].

٤ ـ سبق بلال إلى الجنة: والتوفيق بين هذا وكون الرسول ﷺ أول من يفتح باب الجنة ويدخل الجنة، حيث ذكر في الصحيح أن رسول الله ﷺ أصبح فدعا بلالاً، فقال: «يا بلال، بِمَ سبقتني إلى الجنة، فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، دخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل عربي، قلت: أنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: أنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فقال بلال: يا رسول الله ما أذّنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني

(١) المرجع السابق ص١١١.
(٢) الأثر صحيح موقوفاً. رواه ابن المبارك في الزهد رقم ١٤٥٠، وعبد الرزاق في التفسير ٢/١٧٦.
انظر: تحقيق حادي الأرواح ص١١٢.

حدث قط إلا توضأتُ عندها، ورأيتُ أن لله عليّ ركعتين، فقال النبي ﷺ: «بها»[1].

وهذا الحديث لا يدلل على أن أحداً يسبق رسول الله ﷺ إلى الجنة. وأما تقدم بلال بين يديه ﷺ في الجنة، فلأن بلالاً كان يدعو إلى الله أولاً في الأذان فيتقدم أذانه بين يدي رسول الله ﷺ فيتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم فيقدم بلال بين يديه ﷺ كرامة لرسول الله ﷺ وإظهاراً لشرفه وفضله لا سبقاً من بلال له، بل هذا السبق من جنس سبقه إلى الوضوء ودخوله المسجد ونحوه والله تعالى أعلم[2].

۞ من أسماء الجنة:

١ ـ الجنة.

٢ ـ دار السلام.

٣ ـ دار الخلد.

٤ ـ دار المقامة.

٥ ـ جنة المأوى.

٦ ـ جنات عدن (وعَدَن بالمكان إذا أقام به فلم يبرح أبداً أي جنات إقامة).

٧ ـ دار الحيوان.

٨ ـ الفردوس.

٩ ـ جنات النعيم.

١٠ ـ المقام الأمين.

١١، ١٢ ـ مقعد الصدق وقدم الصدق.

---

(١) الحديث صحيح. رواه الإمام أحمد والترمذي. (انظر: تحقيق حادي الأرواح).

(٢) حادي الأرواح ص١٩٨، ١٩٩.

أما النار (أعاذنا الله منها) فقد أسهب العلماء أيضاً في الحديث عنها. ومن ذلك كتاب التخويف من النار لابن رجب الحنبلي والتذكرة للقرطبي وما جاء في شرح الصحيحين وغيرهما. وأقتطف من هذا يسيراً:

۞ **أبواب النار:**

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣ ـ ٤٤].

يقول ابن كثير: أي كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلون، أجارنا الله منها، وكل يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في درك بحسب عمله، ونقل عن علي بن أبي طالب ﷺ: «أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، حتى تمتلئ كلها»[(١)].

وقد سبق أن أشرنا أنها مؤصدة فلا فتح زيادة في العذاب والمهانة سعة النار وبُعد قعرها.

عن أبي هريرة ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ، إذ سمع وجبة (أي سقطة) فقال النبي ﷺ: «تدرون ما هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار إلى الآن»[(٢)].

وهذا يدل على عظم وبُعد قعرها فالنار تشبه الطاحونة التي ينحدر إليها ألوف وألوف من أطنان الحبوب فتدور بذلك كله لا تكل ولا تمل، وينتهي الحب والطاحونة تدور انتظاراً للمزيد»[(٣)].

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ١٦٢.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة ٤/ ٢١٨٤ رقم ٢٨٤٤.
(٣) الأشقر: الجنة والنار ص٢٢.

ومما يدل على سعة النار أن مخلوقين عظيمين كالشمس والقمر يكونان ثورين مكورين في النار. فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة»[1].

۞ النار تتكلم وتبعد:

أن كثيراً من أمور الآخرة التي أمرنا الله تعالى والرسول ﷺ بالإيمان بها، هي أمور معنوية لا نستطيع أن نراها ولا نلمسها إنما هي من أمور الغيب، لذلك مدح الله الذين يؤمنون بالغيب في القرآن ووصفهم بالمفلحين، قال تعالى:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١ ـ ٢].

ولكن هذه الأمور الغيبية تنقلب حقيقة عينية يراها الناس في الآخرة، مثال ذلك الموت الذي يأتي على هيئة كبش ويذبح بين الجنة والنار. ويقال: «يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»[2].

وكذا ما ورد في وزن الأعمال وزناً حقيقياً والأعمال (معنى معنوياً لا حسياً في الدنيا) أي هو عرض لا جسم، لكن «الله يقلب الأعراض أجساماً»[3].

وكذلك النار تأتي يوم القيامة وهي تزأر وتشهق وتتكلم وتبصر. يقول تعالى: ﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ۝١٢﴾ [الفرقان: ١٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يخرج يوم القيامة عنق من

---

(١) الحديث صححه الألباني في سلسلة أحاديث الصحيحة. (انظر: الأشقر: الجنة والنار ص٢٤).

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد ٢/ ٤٢٣، ورواه البخاري عقباه في أول تفسير سورة مريم ٨/ ٤٢٨، حديث رقم ٤٧٣٠، وأخرجه مسلم، كتاب الجنة ٤/ ٢١٨٨، حديث رقم ٢٨٤٩.

(٣) انظر: شرح الطحاوية ٢/ ٩٨٤.

النار إلا عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، تقول إني وكلت بثلاثة، بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين»[1].

۞ أسماء النار:

١ ـ النار.

٢ ـ السعير.

٣ ـ جهنم.

٤ ـ الحطمة.

۞ منهج أهل السنة في أبدية الجنة والنار:

ومذهب أهل السنّة في أن الجنة والنار لا تفنيان أبداً ولا تبيد أن وهذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف، وقال ببقاء الجنة وفناء النار جماعة من السلف والخلف والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها[2].

ورد أهل السنّة قول الجهم الذي قال بفناء الجنة والنار وأنكروا عليه ذلك وعلى من تابعه من المعتزلة في هذا.

وعلى ما سبق من قول الطحاوي يتضح أن أهل السنّة لم يختلفوا في أبدية الجنة، ولكن هناك قولان في أبدية النار.

القول الأول:

أن الله يخرج منها من يشاء، كما ورد في السنة، ثم يبقيها شيئاً، ثم يفنيها، فإنه جعل لها حداً تنتهي إليه، وقد ذهب إلى هذا القول (أي فناء

---

(١) ذكره الألباني في الصحيحة ص٥١٢ ـ ٥١٣، وذكره المنذري في الترغيب ٤/٤٦، والسيوطي في الدر المنثور ٤/٧٣.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ٢/١٠٠٧.

النار دون الجنة) عمر، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وغيرهم، وذهب إليه من المتأخرين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

من أدلة هذا الفريق:

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨] وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٦ ـ ١٠٧].

فلم يأتِ بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة وهو قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] وقوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبأ: ٢٣][١].

القول الثاني:

إن الله تعالى يخرج فيها من يشاء ـ كما ورد في السنة ـ ويبقى فيها الكفار، بقاءً لا انقضاء له. وقد ذهب إلى هذا القول الطحاوي، وذكر ابن حزم اتفاق الأمة على ذلك[٢]، ومنهم ابن حجر في فتح الباري[٣]، والسبكي والشافعي وغيرهم[٤].

أدلة هذا الفريق:

أن السنة المستفيضة دلت على أنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ٢/١٠١٢ حيث وضح أدلة هذا الفريق من آثار الصحابة ومن أقوال العلماء ٢/١٠١٣ ـ ١٠١٤.

(٢) انظر: الأشقر: الجنة والنار ص٤١.

(٣) انظر: الفتح ١١/٤٢٢.

(٤) انظر فيمن قال بهذا القول الأشقر: الجنة والنار ص٤٤ ـ ٤٨ حيث رجح هذا القول وأبطل القول الأول.

وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان[1].

والله تعالى أعلم.

۞ آخر أهل النار دخولاً الجنة:

كما جاء في الحديث الصحيح[2]: «ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة، فيقول: أي ربّ اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله بما شاء أن يدعوه ثم يقول الله: هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسألني غيره فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله له: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أعطيت أبداً، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: أي رب ويدعو الله حتى يقول: هل عسيت إن أُعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي ما شاء من عهود ومواثيق فيقدِّمه إلى باب الجنة، فإذا قام إلى باب الجنة انفقهت له الجنة فرأى ما فيها من الحَبْرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أي ربّ أدخلني الجنة فيقول الله: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أُعطيت فيقول: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول: أي رب لا أكونن أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك منه قال له: أدخل الجنة

(١) انظر: شرح الطحاوية ٢/ ١٠١٤.
(٢) ذكره البخاري في كتاب التوحيد ٨/ ٧٩٧ وسيأتي ذكره مفصلاً في مبحث الصراط ص١٣٩.

فإذا دخلها قال الله له عَنّه فسأل ربه وعَنى حتى إن الله ليذكّره يقول كذا وكذا حتى انقطعت به الأمانيّ قال الله ذلك لك ومثله معه».

ومن هذا كله تتجلى لنا رحمة الله تعالى وعِظم إعذاره لخلقه، فإذا كان هذا نصيب آخر أهل النار خروجاً منها، وكما جاء في بعض الروايات في البخاري أيضاً: «لك ذلك وعشرة أمثاله»[1]. فكيف إذاً عبد كان في أعالي مراتب الجنة، بل كيف عبد كان في الفردوس الأعلى.

اللهم بلّغنا ولا تحرمنا.

OOOOO

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد ٨/ ٧٩٧.

المبحث الثالث

الإيمان بالعرض والسؤال ـ الميزان ـ الشفاعة ـ الصراط

۞ الحديث القدسي:

١ ـ إثبات العرض والسؤال:

الحديث الأول: عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقن الله عبداً حجته قال: يا رب رجوتك وفرقتُ من الناس»(١).

الحديث الثاني: عن جندب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «يجيء المقتول يوم القيامة متعلقاً بقاتله، فيقول الله: فِيمَ قتلتَ هذا؟ فيقول: في مُلك فلان»(٢).

٢ ـ إثبات الشفاعة:

وسيأتي ذكره بالتفصيل ص١٣١ ـ ١٣٣.

۞ الإيمان بالصراط:

ما ورد من حديث قدسي في مبحث رؤية الله تعالى وفيه: «ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلّم سلم»(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢/٤٠١٧، وأحمد في مسنده ٣/٧٧، وذكره الألباني في الصحيحة ٢/٩٢٩.

(٢) رواه النسائي ٧/٨٤، وفي المسند لأحمد ٥/٣٧٣، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير ٦/٧٩٠٩.

(٣) انظر تخريجه في مبحث رؤية الله تعالى ص٩٥.

أولاً: الإيمان بالعرض والحساب والسؤال

۞ الأصل العقدي:

من ما ثبت عن رسول الله ﷺ في الكتاب والسنّة، وهي من الإيمان باليوم الآخر، فما من عبد إلا وسيعرض أمام الله ﷻ ويُسئل عمّا قدم ليُجزى بذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

يقول تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ۝١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة: ١٥ - ١٨].

ويقول تعالى مبيناً هذا اللقاء للمحسن والمسيء: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق: ٦ - ١٢].

ويقول سبحانه مثبتاً العرض: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨].

وغيرها من الآيات الكثيرة التي تثبت هذا الأصل من أصول العقائد.

۞ الفرق بين العرض والحساب:

ويوضح المصطفى ﷺ أن ما يحصل للمؤمن من السؤال يوم القيامة يُسمى عَرْضاً، وما يحصل لدى المنافق والفاسق يسمى حساباً.

فعن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة

إلا هلك»، فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨] فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذّب»[١].

«فلو ناقش في حسابه لعبيده لعذّبهم وهو غير ظالم لهم، ولكنه تعالى يعفو ويصفح»[٢].

إنه السؤال إذاً عن كل صغيرة وكبيرة، وعن كل خفية وجلية: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

سؤال يشمل عمر الإنسان بطوله، ونيته وعلمه وعمله. يقول عليه الصلاة والسلام: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسئل عن أربع، عن عمره فيمَ أنفاه، وعن شبابه فيمَ بلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به؟»[٣].

إذاً من هذا الحديث يتبين أن أصول السؤال أربعة ولكنها تشمل كل شيء، وكل صغير وكبير.

الأصل الأول: العمر:

وعمر الإنسان يشمل فترة التكليف وفترة الشباب والشيخوخة ماذا عمل في هذا العمر، ولمن وُهبت الساعات والأيام، وهل طبق أمر الله في هذا العمر، أم أنه مضى هكذا بدون حسيب أو رقيب، إنها لحظات عسيرة تلك التي يستعرض فيها المرء ما قدّم كله وكأنه يعيشه لحظة لحظة.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم ١/٢٣٧، ومسلم في كتاب الجنة ٤/٢٢٠.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ٢/٩٧٨.

(٣) الحديث رواه الترمذي في سننه رقم ٢٤١٦، ٢٤١٧، وذكره الألباني في الصحيحة رقم ٩٤٦.

الأصل الثاني: الشباب:

وهو مرحلة العطاء والحماس والحيوية، يُسأل عنه بصورة خاصة والعُمر كما نعلم يشمل الطفولة، والشباب، والشيخوخة فهو داخل ضمناً في السؤال الأول، ولكن هاهنا سؤال بخصوص عن هذه المرحلة من العمر لأهميتها وللتأكيد على أنها لبّ الحياة ومصدر الطاقة والحيوية.

فإذا وُهبت الطاقات وصُرف الحماس لغير الله؟! فماذا بقي لدين الله؟!

الأصل الثالث: العلم:

وهو ما يتلقاه الإنسان في سنين عمره من معلومات ومعرفة هل ازداد بها قرباً إلى الله، ومعرفة في دينه، هل كانت لحظاته ابتغاء مرضاة الله، أم أن الجُهد بذل والوقت والسهر للدنيا وللسمعة والشهرة.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء، فمن فعل ذلك فالنار النار»[1].

الأصل الرابع: المال:

الذي يجمعه الإنسان ويكدر ويتعب من أجله، وصرف الوقت والجهد، يسأل عن كل قليلٍ فيه وكثير، ما الهدف من جمعه؟! وهل احتسب فيه الأجر، هل كان المال في يده أم في قلبه؟ وهل تذكر به الفقراء والمحتاجين، وهل كان يُسرف في هذا المال على كل ما يشتهي أم كان يخاف الله في هذه المال؟

هذه الأسئلة الخطيرة التي يسألها الإنسان قبل أن يدخل الجنة ـ إن كان من أهل الجنة ـ فيا ليت شعري هل أعدونا للسؤال جواباً؟

---

(١) الحديث رواه ابن ماجه في سننه رقم ٢٥٤، ٢٥٩، والحاكم في مستدركه ١/٨٦، وابن حبان في صحيحه ص٩٠.

۞ اختلاف الناس في الحساب:

كما وضحنا في الفرق بين العرض والحساب، فإن المؤمن تُعرض عليه ذنوبه عَرْضاً، فيقروا بها ويعترفون، «يا عبدي أتذكر ذنب كذا، فيقول: نعم يا رب» وهكذا ثم يسترها عليهم سبحانه في الآخرة كما سترها عليهم في الدنيا، فلا يعرف عن ذنوبهم أهل الموقف.

جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سُئل: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي ربِّ أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيُعطى صحيفة حسناته»[1].

النوع الثاني: الكفار والمنافقين فهؤلاء يشهر بذنوبهم ويفضحون كما لم يراعوا حُرمة الله ولا حُرمة دينه في الدنيا، لذلك فهم يُناقشون الحساب فيهلكون.

كما قال عليه الصلاة والسلام من حديث ابن عمر السابق: «وأما الكفار والمنافقون فيُنادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله»[2].

ومصداق ذلك أيضاً ما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحدٌ يحاسب إلا هلك»، قالت: قلت: يا رسول الله ـ جعلني الله فداك ـ أليس يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨] قال: «ذاك العرض يُعرضون، ومن نوقش الحساب هلك»[3].

---

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله بالمؤمنين حديث رقم ٦٩٠٩.

(٢) تكملة الحديث السابق، مسلم في كتاب التوبة.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير سورة الانشقاق حديث رقم ٤٩٣٩.

النوع الثالث: قوم لا يحاسبون يدخلهم الله في رحمته، وفي جنته بدون حساب ولا عذاب إكراماً من الله تعالى لنبي هذه الأمة الذي أرسل رحمة للعالمين، وقد أخبر ﷺ عنهم بصفات معينة هي: «الذين لا يسترقون، ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»[١].

فهؤلاء يكرمهم الله إكراماً عظيماً فلا يُحاسبون على ذنوبهم إنما يعفو الله عنها وكأنهم لم يذنبوا رحمة منه ﷻ. جعلنا الله سبحانه منهم إنه عليٌّ قدير.

ooooo

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، ومسلم، كتاب الإيمان، باب دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب.

ثانياً: الإيمان بالميزان

۞ الحديث القدسي:

عن عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مدّ البصر، ثم يقول: **أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟** قال: لا يا رب، **فيقول: ألك عذر أو حسنة؟** فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول: **بلى إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك** فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: **أحضروه**، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: **إنك لا تظلم**، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»[1].

(الحديث في أصله ليس قدسياً، لكن ما ظلل بالأسود فقط).

۞ الأصل العقدي:

الإيمان بوزن الأعمال، وأن هناك ميزاناً يزن الحسنات والسيئات يوم القيامة من الإيمان بالغيب والإيمان باليوم الآخر.

وقد ذكر المصطفى ﷺ لأصحابه الميزان وأمرهم بالإيمان والتصديق به لأنه المقياس الذي يقاس به يوم القيامة، فقد قال عليه الصلاة والسلام

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/٢١٣.

في قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ قال: «إنه ليأتي الرجل السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»[1]، فالأعمال جميعها يوم القيامة من ذكر ودعاء وصلاة وغير ذلك توزن بالميزان، وحتى الأعمال السيئة من سب وشتم للناس وأكل للأموال بالباطل، وحقوق، وظلم كلها توزن بالميزان.

وقد وصى الرسول ﷺ على ثقل بعض الأعمال في الميزان ترغيبٌ فيها فقال عليه الصلاة والسلام؛

«كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[2].

ووزن الأعمال وإن كنا لا نراها في الدنيا: «إلا أنها تنقلب يوم القيامة أعراضاً فتوزن كما توزن الأجسام»[3] ـ كما سبق أن بيّنا ـ فالميزان ميزان حقيقي له كفتان حيتان ولسان، وتوزن به الأعمال حيث لا يظلم سبحانه أحداً، ولا يظلم مثقال ذرة، فلا يتمادى الظالمون والفاسقون في الدنيا، فإن هناك يومٌ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

○○○○○

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٨/٤٢٦، ومسلم في صفات المنافقين ٤/٢١٤٧.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ١١/٢٠٦، ومسلم في الذكر والدعاء ٤/٢٠٧٢.
(٣) انظر: شرح الطحاوية ٢/٩٨٤.

ثالثاً: الإيمان بالشفاعة

۞ الحديث القدسي:

عن أبي هريرة ﷺ قال: أُتي رسول الله ﷺ بلحم فدُفع إليه منها الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممَ ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوت بها لى قومي، نفسي نفسي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد

بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكره كذباته، نفسي نفسي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى: فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: أن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، قال: هكذا هو، وكلمت الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ذنبك، ما تقدم منه وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم، فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي ﷻ، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، فيقال: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، لما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى»[1].

○○○○○

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦، والبخاري في التفسير ٨/ ٣٩٥، ومسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/ ١٨٤.

الحديث الأول: عن أبي هريرة أن الناس قالوا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحابٌ قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها شك إبراهيم فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاءنا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بقي بعمله أو الموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه ثم يتجلى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل.

ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة فيقول أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيدعو الله بما شاء أن يدعوه ثم يقول الله **هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسألني غيره فيقول** لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء فيصرف الله وجهه عن النار فإذا

أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله له **ألست بد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أعطيت أبدا ويلك يا ابن آدم ما أغْدرك** فيقول أي رب ويدعو الله حتى يقول: **هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره،** فيقول لا وعزتك لا أسألُك غيره ويعطي ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام إلى باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الحبرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب أدخلني الجنة فيقول الله **ألست قد أعطيت عهودك وموثيقك أن لا تسأل غير ما أُعطيت فيقول ويلك يا ابن آدم ما أغدرك** فيقول أي رب لا أكونن أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك منه قال له ادخل الجنة فإذا دخلها قال الله له: **تمنه** فسأل ربه وتمنى حتى إن الله ليذكره يقول كذا وكذا حتى انقطعت به الأمانيُّ قال الله **ذلك لك ومثله معه**(١).

الحديث الثاني: والذي يثبت الشفاعة العامة (للنبيين والملائكة والمؤمنين) عن أبي سعيد الخدري قال. قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا قلنا لا قال فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما ثم قال ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيز بن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون قالوا نريد أن تسقينا فيقال اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيقالُ كذبتم لم

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، حديث رقم ٧٤٣٧.

يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون فيقولون نريد أن تسقينا فيقال اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من برٍ أو فاجرٍ فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم وإنا سمعنا منادياً ينادي ليلحق كل قومٍ بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا قال فيأتيهم الجبار بصورة غير صورتِهِ التي رأوه فيه أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياءً وسمعةً فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر قال مدحضةٌ مذلةٌ عليه خطاطيف وكلاليبُ وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوشٌ ومكدوسٌ في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً فما أنتم بأشد لي مناشَدَةً في الحق قد تبيَّن لكم من المؤمن يومئذ للجبار وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول الله تعالى **اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه** ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول **اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه** فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول **اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمانٍ فأخرجوه** فيخرجون من عرفوا. قال أبو سعيد فإن لم تصدِّقوني فاقْرَؤوا إن الله لا يظلم مثقال ذرةٍ وإن تك حسنةً يضاعفها فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السَّيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة فما كان

إلى الشمس منها كانت أخضر وما كان منها إلى الظِّلِّ كان أبيض فيخرجون كأنّهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عُتقاء الرحمٰن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه[1].

۞ الأصل العقدي:

الشفاعة التي ادخرها الله لأمته حق كما يقول الطحاوي[2]، وهي من أمور الإيمان الواجب الإيمان بها إيماناً باليوم الآخر، وقد أثبتها الله في كتابه فقال تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

ومن هذه الآية الكريمة يتضح أن للشفاعة شرطين لا بد من تحققهما ولا تنفع الشفاعة إلا بهما هما:

١ ـ أذن الله تعالى للشافع بأن يشفع، وقد قال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

٢ ـ الرضى عن المشفوع له، ولا يرضى الله إلا لمن اتبع أوامره حقاً واجتنب نواهيه صدقاً. يقول تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فأنى لمن ظلم نفسه واتبع هواه ولهذه الشفاعة..

○○○○○

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب وجوه يومئذ ناضرة، ٨/ ٧٩٨، ورواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب إخراج عصاة المؤمنين من النار، والحديث في سياقته ليس قدسياً والمظلل بالأسود هو الكلام القدسي.

(٢) شرح الطحاوية ٢/ ٩٨٩.

وكما اتضح لنا في الحديث الأول فإن للنبي ﷺ شفاعة خصه الله بها من بين سائر خلقه، بعد أن يشهد على الناس الكرب والضيق في صعيد يوم القيامة، فيذهبون إلى الأنبياء فيعتذر كل نبي بذنب، حتى يصلوا إلى محمد ﷺ فيشفع إلى الله بعد أن يأذن له الله ﷻ. يقول عليه الصلاة والسلام: لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجّل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً[(١)].

وهناك شفاعة عامة للأنبياء والملائكة والشهداء ولكل من أذن له الله تعالى من المؤمنين كما دلّ الحديث الثاني.

أنواع الشفاعة الخاصة:

ولا أريد أن أطيل في هذا المبحث لوضوح ما فيه ولكن أورد ما ذكره شيخ الإسلام في أنواع الشفاعة الخاصة التي هي للنبي ﷺ يوم القيامة.

النوع الأول: الشفاعة الكبرى التي يعتذر عنها أولوا العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام ويأتي دور النبي ﷺ ويقول أنا لها، وهي التي وردت في الحديث الأول. وهي كما يتضح من الحديث ليخرج المؤمنين من كرب الموقف يوم القيامة، ويبدأ الله سبحانه للقضاء والفصل بين العباد.

النوع الثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخولها وهذا مذكور في الصحيح حيث يذهب المؤمنون إلى الجنة فيجدونه مغلقاً، حتى يأتي النبي ﷺ فيستأذن فيُفتح لهم.

النوع الثالث: شفاعته ﷺ لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار فيشفع لهم أن لا يدخلوها.

النوع الرابع: شفاعته في العصاة من أهل التوحيد، الذين دخلوا النار بذنوبهم فيخرجهم منها.

---

(١) رواه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب الشفاعة.

النوع الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة ليزداد ثوابهم وتُرفع درجاتهم.

النوع السادس: شفاعته في بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه، وهذه خاصة بأبي طالب وحده[1].

وذكر الطحاوي نوع آخر:

النوع السابع: شفاعته ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

النوع الثامن: شفاعته في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب منهم عكاشة بن محصن كما جاء في الحديث الصحيح للسبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب[2].

○○○○○

---

(١) انظر: الفتاوى ٣/١٤٧ ـ ١٤٨، وانظر: ابن حجر في فتح الباري ١١/٤٢٨ ـ ٤٣٠.

(٢) الحديث أخرجه البخاري، كتاب اللباس ١٠/٢٨٧، ومسلم، كتاب الإيمان ١/١٩٧.

رابعاً: الإيمان بالصراط

وقد ورد ذكر ـ الجسر ـ في الحديث الثاني في الشفاعة[1]، وورد ذكر ـ الصراط ـ في حديث الرؤية[2].

۞ الأصل العقدي:

الإيمان بالصراط أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان باليوم الآخر إلا به فيجب الإيمان به، وأنه حق، وحقيقته هو الجسر الممدود على ظهر جهنم، موصلاً إلى الجنة، فلا يُدخل الجنة إلا بعد المرور على هذا الجسر، وهو موقف عظيم وشديد من مواقف يوم القيامة يكثر فيه الكراب والنبيون دعواهم اللهم سلم سلم. وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١].

قوة الإيمان أو ضعفه وعلاقتها بالمرور على الصراط:

المرور على الصراط يكون بحسب قوة الإيمان، وضعفه، فكلما قوي إيمان العبد كلما سهل مروره على الصراط، ووصل سريعاً إلى الجنة.

١ ـ فمنهم من يمر كطرفة عين.

٢ ـ ومنهم من يمر كالبرق.

٣ ـ ومنهم من يمر كالريح.

٤ ـ ومنهم من يمر كأجاويد الخيل.

---

(١) انظر من البحث ص١٣٦.

(٢) انظر من البحث ص٩٥.

٥ ـ ومنهم من يمر كأجود الإبل.

٦ ـ ومنهم من يمر كعدو الرجل.

٧ ـ ومنهم من يمر مثل الطير.

٨ ـ ومنهم من يمشي مرة ويكبو مرة.

٩ ـ ومنهم من يُسحب سحباً يمر فيتكفأ به الصراط[1].

١٠ ـ آخرهم مرّاً رجل نوره على موضع إبهامي قدميه.

فعن أبي سعيد الخدري في مبحث الشفاعة يصف هذا الجسر حينما سُئل عنه ﷺ فقال: مدحضةٌ مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسلة مفلطحة لها شوكة عُقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والرِّكاب فناجٍ مُسَلَّم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً.

هذه هي أحوال الناس يوم القيامة على الصراط وهي مترتبة حسب قوة الإيمان أو ضعفه.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يخشون ويخافون هذه اللحظات العصيبة، كما ورد عن عبد الله بن رواحة وهو يتجهز إلى غزوة مؤتة ويبكي فسُئل ما يبكيك يا ابن رواحة قال: أما والله ما بي حبّ الدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله ﷻ، يذكر فيها النار ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم: ١٧]، فلست أدري كيف لي بالصّدور بعد الورود[2].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/١١٦.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٣/٥٠٢ ـ ٥٠٤، وذكر الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد قال: ورجاله ثقات ٦/٥٧ ـ ١٥٩.

۞ الأقوال في الآية:

وقد ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية أنها الورود على النار مروراً بالصراط فعن قتادة أنه قال: قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؛ قال هو الممر عليها، وقال عبد الرحمٰن بن أسلم: هو ورود المسلمين المرور علىٰ الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها(١).

وقد قال تعالى بعد ذلك: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ أي قسماً واجباً كما قال ابن مسعود، وقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢] أي إذا مرَّ الخلائق كلهم على النار فوق الصراط وسقط فيها من سقط بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار إلا دارات وجوههم وهي مواضع السجود، وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان(٢).

۞ أول من يعبر على الصراط:

هم الأنبياء والمرسلين، هو سيدنا محمد ﷺ لأنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول من سيدخل الجنة، وأول من يعبر الصراط.

ثم بعد ذلك تعبر أول أمة وهي أمة الحبيب المصطفى ﷺ لأنها خير أمة أخرجت للناس، وهي أول أمة تدخل الجنة إكراماً لنبيها وحبيبها وهو رسول الله ﷺ.

يقول عليه الصلاة والسلام كما جاء في حديث أبي هريرة السابق: «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذٍ إلّا الرسل، ودعاء الرسل يومئذٍ: «اللهم سلم سلم»(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١١٧.
(٢) انظر المرجع السابق.
(٣) سبق تخريجه ص٩٥.

۞ صفة الصراط:

وقد سبق أن جاء وصف الصراط في الحديث وأنه:

١ ـ مدحضة مزلة ـ أي سرعان ما تزل الأقدام عليه ـ.

٢ ـ عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة وبها شوك السعدان.

وشوك السعدان نبات له حسكة يعم الشوك محيطها.

٣ ـ وذكر عن أبي سعيد ﷺ قال: أنه أدق من الشعر وأحدّ من السيف[١].

فاللهم اجعلنا ممن يجيز على الصراط سريعاً، وألحقنا بنبيك محمد ﷺ.

○○○○○

(١) جزء من حديث رواه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب رؤية الله تعالى.

الفصل الرابع

بقية الأركان

ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثالث: الإيمان بالرسل.

المبحث الأول

الإيمان بالملائكة

۞ الحديث القدسي:

الحديث الأول: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتو فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»(١).

الحديث الثاني: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تفتح أبواب الجنة في كل اثنين وخميس ـ قال معمر: وقال غير سُهيل تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس ـ فيغفر الله ﷻ لكل عبد لا يشرك به شيئاً إلا المتشاحنين يقول الله للملائكة: ذروهما حتى يصطلحا»(٢).

الحديث الثالث: عن ابن عمر قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ في

---

(١) حديث صحيح. أخرجه الإمام مالك في الموطأ ١٢٣ ـ ٨٥، ورواه عن مالك الإمام البخاري ١٤٦/٢، ١٥٤/٩، والإمام مسلم ٤٣٩/١، وأحمد في مسنده ٨٤٦/٢، ٩١٤٠/١٧.

(٢) صحيح. أخرجه الإمام أحمد ٧٦٢٧/١٤، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأخرجه مسلم مرفوعاً ١٩٨٧/٤، وابن ماجه ١٧٤٠/١، وأبو داود ٤٩١٦/٤، والترمذي ٢٠٢٣/٤، والبخاري في الأدب المفرد ٤١١/١٤٨، ومالك في الموطأ ١٧/٥٦٦.

مسجد منى فتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا: يا رسول الله جئنا نسألك. فقال: إن شئتما أخبرتكما بما جئتماني تسألاني عنه فعلت وإن شئتما أمسك وتسألاني فعلت. فقالا: أخبرنا يا رسول الله. فقال الثقفي للأنصاري: سل. فقال: أخبرني يا رسول الله. فقال: جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ومالك فيه، وعن وقوفك عشية عرفة ومالك فيه، وعن رميك الجمار ومالك فيه، وعن نحرك وما لك فيه، وعن حلقك رأسك وما لك فيه، وعن طوافك بالبيت بعد ذلك وما لك فيه، مع الإفاضة. فقال: والذي بعثك بالحق لعنْ هذا جئت أسألك. قال: فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفع خفا إلا كتب الله لك به حسنة ومحا عنك خطيئة، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل، وأما طوافك بالصفا والمروة بعد ذلك كعتق سبعين رقبة، وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله تبارك وتعالى يهبط إلى السماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة يقول: عبادي جاءوني شعثا من كل فج عميق يرجون جنتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل أو كقطر المطر أو كزبد البحر لغفرها ـ أو لغفرتها ـ أفيضوا عبادي مغفورا لكم ولمن شفعتم له، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها كبيرة من الموبقات، وأما نحرك فمذخور لك عند ربك، وأما حلاقك رأسك فلك بك شعرة حلقتها حسنة، ويمحى عنك بها خطيئة، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول: اعمل فيما يستقبل فقد غفر لك ما مضى»[1].

---

(١) حسن. أخرجه البزار ٢/ ١٠٨٢ ـ كشف الأستار، ورواه ابن حبان في صحيحه رقم ٩٦٣ ـ موارد. ورواه عبد الرزاق في مصنفه ٥/ ٨٨٣٠، وذكره المنذري في الترغيب ٢/ ٢٧٥، ٣٣٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٧٤، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/ ١٣٧٣ معزواً للطبراني عن ابن عمر وقال الألباني: حسن وقد سبق تخريجه.

۞ باب حديث (أن الملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر. . .):

من حديث أبي هريرة:

قال البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر تسبيحاً. قال: فيقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة. قال: فيقول: أشهدكم إني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»[(١)].

وقال الترمذي: حدثنا أبو كريب حديثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: «أن لله ملائكة سيّاحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس، فإذا وجدوا أقواما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى بغياتكم، فيجيئون فيحفون بهم إلى

---

(١) رواه شعبة عن الأعمش ولم يرفعه، ورواه سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. أخرجه البخاري ١٠٧/٨ صحيح.

سماء الدنيا، فيقول الله: على أي شيء تركتم عبادي يصنعون؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك. قال: فيقول: فهل رأوني؟ فيقولون: لا. قال: فيقول: فكيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوك لكانوا أشد تحميداً وأشد تمجيداً وأشد لك ذكراً. قال: فيقول: وأي شيء يطلبون؟ قال: فيقولون: يطلبون الجنة. قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد طلباً وأشد حرصاً. قال: فيقول: من أي شيء يتعوذون؟ قالوا: يتعوذون؟ قالوا: يتعوذون من النار. قال: فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا منها أشد هرباً وأشد منها خوفاً وأشد منها تعوذاً. قال: فيقول: فأني أشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقولون: إن فيهم فلاناً الخطاء لم يردهم وإنما جاء لحاجة. فيقول: هم القوم لا يشقى لهم جليس»(١).

وقال مسلم: حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون حدثنا بهز حدثنا وهيب حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً يبتغون مجالس الذكر فإذا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء. قال: فيسألهم الله ﷻ - وهو أعلم بهم -: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض. يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك. قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا. أي رب! قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك. قال: مم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب! قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فيكف إن رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا.

---

(١) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي عن أبي هريرة من غير هذا الوجه. صحيح.

قال: فيقولون: رب فيهم فلان. عبد خطاء. إنما مر فجلس معهم. قال: فيقول: وله غفرت. هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»(١).

عن أبي هريرة: «إن لله ملائكة فضلاً عن كتاب الناس يبتغون الذكر يجتمعون عند الذكر فإذا مروا بمجلس علا بعضهم على بعض حتى يبلغوا العرش فيقول الله لهم ـ وهو أعلم ـ: من أين جئتم؟ فيقولون: من عند عبيد لك يسألونك الجنة، ويتعوذون بك من النار، ويستغفرون فيقول: يسألوني جنتي فكيف لو رأوها؟ ويتعوذون من ناري فكيف لو رأوها؟ فإني قد غفرت لهم. فيقولون: ربنا إن فيهم عبدك الخطاء فلاناً مر بهم لحاجة فجلس إليهم. قال الله ﷻ: أولئك الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»(٢).

عن أبي هريرة: «إن لله ﷻ سيارة من الملائكة يبتغون حِلَقَ الذكر فإذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض: اقعدوا. فإذا دعا القوم أمنوا على دعائهم فإذا صلوا على النبي ﷺ صلوا معهم حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض: طوبى لهم لا يرجعون إلا مغفوراً لهم»(٣).

۞ ومن حديث أنس بن مالك:

عن زياد النميري: عن النبي ﷺ: «إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حِلَقَ الذكر فإذا حفوا عليهم وأتوا بهم ثم بعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى. فيقولون: ربنا آتينا على عباد من عبادك يعظمون آلائك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد ﷺ ويسألونك لآخرتهم ودنياهم. فيقول تبارك وتعالى: غشُّوهم رحمتي. فيقولون: يا رب إن فيهم فلاناً الخطاء، إنما أعتنقهم اعتناقاً. فيقول تبارك وتعالى: غشوهم رحمتي

---

(١) أخرجه مسلم ٤/٢٠٦٩.

(٢) وقال ابن شاهين: هذا الحديث من أحسن أحاديث في الذكر وأصحه إسناداً. كما في كنز العمال ١/١٨٧٨، والإتحافات ٥٠٣ (حسن).

(٣) كما في كنز العمال ١/١٨٧٦ (ضعيف).

فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»[١].

۞ ومن حديث ابن عباس:

قال الله تعالى: «عبدي إذا ذكرتني خالياً ذكرتك خالياً، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم وأكثر»[٢].

۞ الأصل العقدي:

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، وركيزة من ركائز العقيدة، وأصل من أصول الإسلام. لا يتم إيمان العبد إلا بالإيمان بخلق الله تعالى لهم، ولا إيمان بتأثيرهم في الكون وفي أثرهم في الإنسان إلا بإذن الله تعالى.

الملك: واحد الملائكة مشتق من الألوكة وهي الرسالة من لأك إذا أرسل[٣] وقيل غير ذلك.

من هم الملائكة؟! الملائكة هم خلق كريم خلق من نور، وكّلهم الله بكثير من شؤون العالم العلوي والسفلي[٤].

ما هي صفاتهم؟ أخبر الله تعالى عن صفات الملائكة العبادية لله تعالى ومن هذه الصفات:

١ - أنهم مجبولون على طاعة الله وعبادته قائمين بوظائفهم كما

---

(١) كما في مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/٧٧. ضعيف. وقال الهيثمي: رواه البزار من طريق زائدة عن أبي الرقاد عن زياد النميري وكلاهما وثق على ضعفه فعاد هذا إسناد، كما ذكره المنذري في الترغيب ٢/٦٧٦.

(٢) كما في كنز العمال ١/١٧٩٧ صحيح، وفي الإتحافات ٨٠ معزواً للبيهقي في شعب الإيمان عنه وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤/٤٢٠٠ وقال: صحيح.

(٣) انظر: المعجم الوجيز: (مَلَك).

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢/٦٤٩. وانظر: عقيدة أهل السنة للدكتور القحطاني ص٢٧١ - ٢٧٨.

أمرهم الله ﷻ. والدليل قوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

٢ ـ دائماً في عبادة دائمة لله تعالى. قال ﷻ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

٣ ـ عباد مكرمون. قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

٤ ـ خوفهم الشديد من الله ﷻ. قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

إلى غير ذلك من الصفات الجلية...

(فهم عباد مكرمون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، لا يتخطاه، وهو على عمل ما قد أمر به ولا يقصر عنه ولا يتعداه)[1].

۞ أصناف الملائكة ووظائفهم:

١ ـ الموكلون بالحياة وهم: رؤساء الملائكة الثلاثة: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل. فجبرائيل عليه السلام موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح. قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢].

وقد سمى الله تعالى الوحي روحاً في آيات كثيرة دلالة على اسم جبريل عليه السلام ودلالة على أن ما ينزله هو حياة الأرواح. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣].

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ٢/٦٥٣ ـ ٦٥٤ ترتيب خالد فوزي.

وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم، وقد خص الرسول ﷺ في دعائه الملائكة الثلاثة عليهم السلام كما روت عائشة رضي الله عنها في حديث دعائه ﷺ في قيام الليل: «اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل..»(١). وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨]. فأفردهم الله تعالى خاصة بعد ذكر عموم الملائكة لمزيتهم وفضلهم.

٢ - رسل الله في خلقه وأمره وسفرائه بينه وبين عباده يترلون الأمر من عنده في أقطار العالم ويصعدون إليه بالأمر منهم من ذكر الله عز وجل في كتابه. قال تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾﴾ [المرسلات: ١ - ٥]. وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ ...﴾ الآية، وقال أيضاً: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾. وقد أخبر الرسول ﷺ من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: «أن السماء أطّت وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله...»(٢).

٣ - تثبيت المؤمنين وتبشيرهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]. ومن ذلك تبشير المؤمنين يوم بدر وتثبيتهم والمقاتلة معهم قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/ ٥٣٤.
(٢) أخرجه الترمذي ٤/ ٤٨٢، وقال: حديث حسن غريب، وأخرجه ابن ماجه في الزهد، باب الحزن والبكاء ٢/ ١٤٠٢ ح٤١٩٠، وأخرجه الإمام أحمد ٥/ ١٧٣، وصححه الأرنؤوط بشواهده في تعليقه على شرح الطحاوية ص٤٠٩.

٤ ـ عبادة الله بالتسبيح. قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

٥ ـ قبض الأرواح. قال تعالى: ﴿۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١].

٦ ـ الترحيب بالمؤمنين في الجنة: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

٧ ـ خزنة جهنم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

٨ ـ تسجيل أعمال البشر وحفظها. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]. ومن هؤلاء ما جاء في هذا الحديث القدسي الصحيح من تعاقبهم على بني آدم في الليل والنهار.

جاء في التفسير: اثنان عن اليمين واثنان عن الشمال، يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه، وواحد من أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل، بدلاً، حافظان وكاتبان[(١)].

وجاء في التفسير أيضاً: صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك، فإن استغفر الله

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير في تفسير آية: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ ٢/ ٥٠٣، وانظر: شرح الطحاوية ٢/ ٦٥٧.

تعالى نهاه أن يكتبها، وأن أبىٰ كتبها[1].

وقال الحسن البصري: «يا ابن آدم بسطت لك صفيحة ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صفيحتك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة»[2].

وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام؟ وهو قول الحسن وقتادة، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما؟ على قولين، وظاهر الآية الأول لعموم قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، وقد قال الإمام أحمد بن المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالىٰ ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالىٰ عليه بها سخطه إلىٰ يوم يلقاه» قال فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث[3].

ومن هنا فقد أمرنا الرسول ﷺ أن نستحي من الملائكة فلا نقابلهم بالقبائح أو بالتعري، وقد ذكر ابن كثير أن رسول الله ﷺ قال: «أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدىٰ حالتين الخبابة والغائط، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره أو ليستره أخوه»[4].

---

(١) تفسير ابن كثير في تفسير سورة قٓ ٤/ ١٩٧ عن الأحنف بن قيس.

(٢) المرجع السابق ٤/ ١٩٧.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره، ٤/ ١٩٧، وقال: رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، من حديث محمد بن عمرو به وقال الترمذي: حسن صحيح وله شاهد في الصحيح.

(٤) وقال ابن كثير: رواه الحافظ البزار. انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٤٢١.

وفي رواية عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدىٰ ثلاث حالات: الغائط والجنابة والغُسل.. الحديث[1].

○○○○○

(١) انظر المرجع السابق حيث قال: تفرد به تمام بن نجيح وهو صالح الحديث. قلت: وثقه ابن معين وضعفه البخاري.

المبحث الثاني

الإيمان بالقضاء والقدر

۞ الأحاديث القدسية:

الحديث الأول: عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ﷻ خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره. وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي». قال: فقال قائل: يا رسول الله فعلىٰ ماذا نعملُ؟ قال: «على مواقع القدر»(١).

الحديث الثاني: وروىٰ الترمذي عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سُئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ . . .﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يُسئل عنها فقال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فأخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقتُ هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ قال: فقال رسول الله ﷺ إن الله إذا خلق

---

(١) الحديث صحيح. أخرجه أحمد في مسنده ٤/١٨٦، ورواه الحاكم في المستدرك ١/ ٣١، وابن حبان في صحيحه رقم ١٨٠٦، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح. وذكره الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٢/١٧٥٤، وفي السلسلة الصحيحة ١/٤٨ وقال الألباني: صحيح.

العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار»[1].

الحديث الثالث: عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه خطب بالجابية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له. فقال له قِسٌّ بين يديه كلمة بالفارسية فقال عمر لمترجم يترجم له: ما يقول؟ قال يزعم أن الله لا يضل أحداً. فقال عمر: كذبت يا عدو الله بل الله خلقك وهو أضلّك وهو يدخلك النار إن شاء الله. (ولولا ودت)[2] عقداً لضربت عنقك ثم قال:

«إن الله لما خلق آدم نثر ذريته فكتب أهل الجنة وما هم عاملون، وأهل النار وما هم عاملون.

ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه» فتفرق الناس وهم لا يختلفون في القدر[3].

الحديث الرابع: عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال:

---

(١) الحديث صحيح لغيره. أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٣٠٧٥، ورواه أبو داود في سننه ٤/٤٧٠٣، ٤٧٠٤، والحديث في موطأ مالك ٢/ ٥٦٠، وأخرجه البغوي في شرح السنة ١/ ٧٧، وقال محققه: حديث صحيح، وذكره الألباني في ضعيف الجامع ٢/ ١٦٠٢ وضعفه ولكن ذكره في تخريج الطحاوية وقال: صحيح لغيره، إلا مسح الظهر فلم أجد له شاهداً.

(٢) (ولولا ولت) هكذا في كنز العمال.

(٣) صحيح، في كنز العمال ١/ ١٥٤٧، ذكره الألباني في الصحيحة ١/ ٤٦، وللحديث طرق كثيرة وروايات عدة منها وهو صحيح:
«إن الله ﷻ قبض قبضة فقال: في الجنة برحمتي، وقبض قبضة فقال: في النار ولا أبالي».
ومنها: «خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذّر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كفه اليسرى إلى النار ولا أبالي».

«أتدرون ما هذان الكتابان؟ قال: قلنا: لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله قال للذي في يده اليمني: هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أُجْمِلَ علىٰ آخرهم، لا يُزاد فيهم ولا يُنقص منهم أبداً، ثم قال للذي في يساره: هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أُجْمِلَ علىٰ آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً.

قال أصحاب رسول الله ت فلأي شيء إذن نعمل إن كان هذا أمراً قد فُرغ منه؟ قال رسول الله ﷺ: ردوا وتاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أيّ عمل، وإن صاحب النار ليختم له بعمل أهل النار وإن عم أيّ عمل ثم قال بيده فقبضها ثم قال: «فرغ ربكم ﷻ من الصاد ثم قال باليمني فنبذ بها، فقال: فريق في الجنة ونبذ باليسرىٰ فقال: فريق في السعير»[1].

الحديث الخامس: عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق أنه.

يُجمع خلْق أحدكم في بطن أمه أربعين ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات فيقول: اكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد فوالذي نفسي بيده: إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينة وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وأن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[2].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٠/١٥٦٣ وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، ورواه الترمذي في سننه ٤/٢١٤١ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(٢) رواه البخاري ٨/١٥٢، ومسلم ٤/٢٠٣٦، ورواه ابن ماجه في سننه ١/٧٦، ورواه الإمام أحمد ٦/٣٩٣٤، وهو من أحاديث الأربعين النووية، قال ابن رجب: هذا الحديث متفق على صحته، تلقته الأمة بالقبول.

الحديث السادس: عن عبد الواحد بن سليم قال: قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح فقلت له: يا أبا محمد إن أهل البصرة يقولون في القدر. قال: يا بنيَّ اتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فاقرأ الزخرف قال: فقرأت.

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ١ ـ ٤] فقال: أتدري ما أم الكتاب؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماوات وقبل أن يخلق الأرض، فيه «إن فرعون من أهل النار» وفيه: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١﴾ قال عطاء: فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت، صاحب رسول الله ﷺ فسألته: ما كان وصية أبيك عند الموت؟ قال: دعاني أبي فقال لي: يا بنيّ اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره فإن مُتَّ على خير هذا دخلت النار. إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب، فقال: ما أُكتب؟ قال: اكتب القدر، ما كان وما هو كائن إلى الأبد»[١].

الحديث السابع: قال عبادة بن الصامت لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة».

يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»[٢].

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه ٤/ ٢١٥٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/ ٢٠١٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ٤٧٠٠، وصححه الألباني في الجامع الصغير ٢/ ٢٠١٤.

۞ الأصل العقدي:

الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان بالله ﷻ، وهو تمام التوحيد، أو نظام لتوحيد كما قال ابن عباس[1]: (ومعناه الإيمان بقدر الله السابق، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه سبحانه خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها وأن الله سبحانه علم كل شيء قبل أن يكون لو كان كيف كان يكون، ويلزم من هذا الإيمان بشرع الله ﷻ جميعه من أوامره ونواهيه ووعد ووعيد[2]، وأن الله تعالى قدر الأرزاق والآجال، والسعادة والشفاء والهداية والضلال وأنه تعالى فعال لما يريد وأنه سبحانه أخذ الميثاق على بني آدم وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم)[3].

وعلى هذا المعنى يدور كلام الشيخ السفاريني رحمه الله حيث قال: (القدر عند السلف ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد قدّر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل وعلم ﷻ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدّرها[4] وكل هذه المعاني تدور حول الأدلة التي أثبت بها السلف هذا الركن العظيم.

○ ○ ○ ○ ○

(١) انظر: التحفة المهدية ص٤٠١، وانظر: التدمرية، تحقيق السعدي ص٢١٣ ـ ٢١٤.
(٢) انظر: المرجع السابق ص٤٠٢.
(٣) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر العقل ص٤٢.
(٤) السفاريني: لوامع الأنوار ١/٢٤٨.

إثبات القضاء والقدر عند أهل السنة

من القرآن الكريم:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

أي في إمام الكتاب وهو الإمام المبين كما قال مجاهد وقتادة[١].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

أي كان علمه قبل أن يخلق الأشياء كلها فتم في علمه معه قبل أن يخلق خلقاً يأمرهم وينهاهم... إلخ[٢]. وغيرها من الآيات الكثير...

من السنة المطهرة:

أحاديث كثيرة تثبت هذا الركن الهام ومنه ما سبق بيانه من أحاديث قدسية فالحديث الأول يثبت أن الله ﷻ:

١ ـ يعلم مقادير الخلائق جميعاً ومآلهم إلى جنة أو إلى نار منذ أن أخرج ذرية آدم من ظهره.

٢ ـ والحديث الثاني يثبت ما ذكر في الحديث الأول إضافة إلى أن الله تعالى ييسر للعبد إذا كان من أهل الجنة عمل أهل الجنة، وهكذا بالنسبة لأهل النار، وذلك لقوله ﷺ: «استعمله» بمعنى أنه هيأ له أعمالاً صالحة إذا كان من أهل الجنة، وأعمالاً سيئة تجره على النار إذا كان من أهل النار والعياذ بالله.

٣ ـ الحديث الثالث مما روى على لسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

(١) انظر: تفسير الطبري جامع البيان ١٢/٦٥٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري جامع البيان ١٢/١٥.

إثبات أن الله ﷻ يخلق الخير والشر والهدى والضلالة بدليل قول عمر للقس: خلقك وهو أضلك وهو يدخلك النار إن شاء الله.

ولكنه ﷻ لا يحب الشر ولا يريده، ويحب الخير ويريده.

وهذا مذهب أهل السنة، وهو خلاف مذهب المعتزلة التي تدعي أن الله لا يخلق الشر، وعلى هذا الحديث يعلق الشيخ الألباني تعليقاً مفيداً حيث يقول رحمه الله: إن كثيراً من الناس يتوهمون أن هذه الأحاديث ونحوها تفيد أن الإنسان مجبور على أعماله الاختيارية ما دام أنه حكم عليه منذ القدم وقبل أن يخلق بالجنة أو النار وقد يتوهم آخرون أن الأمر فوضى أو حظ فمن وقع في القبضة اليمنى كان من أهل السعادة، ومن كان في القبضة الأخرى كان من أهل الشقاوة. فيجب أن يعلم هؤلاء جميعاً أن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لا في ذاته ولا في صفاته فإذا قبض قبضة فهي بعلمه وعدله وحكمته فهو تعالى قبض باليمنى على من علم أنه سيطيعه حيث يؤمر بطاعته وقبض الأخرى على من سبق في علمه تعالى أنه سيعصيه حين يؤمر بطاعته ويستحيل عدل الله تعالى أن يقبض باليمنى على من هو مستحق أن يكون من أهل القبضة الأخرى والعكس بالعكس كيف والله ﷻ يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، ثم إن كلاً من القبضتين ليس فيها إجبار لأصحابها أن يكونوا من أهل الجنة أو من أهل النار بل هو حكم من الله تبارك وتعالى عليهم بما سيصدر منهم من إيمان يستلزم الجنة أو كفر يقتضي النار والعياذ بالله تعالى منها وكل من الإيمان أو الكفر أمران اختياريان لا يكره الله تبارك وتعالى أحداً من خلقه على واحد منها ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. وهذا مشاهد معلوم بالضرورة ولولا ذلك لكان الثواب والعقاب عبثاً والله منزه عن ذلك[١].

---

(١) انظر: السلسلة الصحيحة ١/ ٥٠.

٤ ـ أما الحديث الرابع والذي يوضح أن الرسول ﷺ خرج على أصحابه وفي يده كتابان وسألهم ما هذان الكتابان[1]؟! ثم وضح للصحابة رضوان الله عليهم أن فيها ما سبق في علم الله تعالى من مقادير أهل السعادة والشقاء وآجالهم وأسمائهم وأوزارهم ما يثبت أن الله ﷻ قدر في الأزل كل شيء ثم بين عليه الصلاة والسلام أن هذا مما لا يجب عليه الاتكال وعدم العمل إنما أثبت بعد قدرة الله وعلمه، قدرة المخلوق على السير في طريق الخير والشر لما أعطاه الله ﷻ من إمكانيات وقدرات تؤهله لهذا العمل فوهب له إرادة وعقلاً يميز بهما بين النافع والضار والخير والشر لما أعطاه لذا قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه الكرام: «سددوا وقاربوا... الحديث». وهذا بيان على أن من سلك طريق الخير أحبه وأخلص فيه فإن الله لا يضيع أجره وسيكون أن جزاءه خاتمة حسنة، والعكس صحيح.

وهذا يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠].

فنسب سبحانه القدرة في الفعل إلى المخلوق (أعطى/ اتقى/ بخل/ استغنى) وهذا إثبات أن للمخلوق قدرة مؤثرة لكنها لا تنفك عن قدرة الله تعالى وإرادته ولا تملك الخروج عنها أبداً.

---

(١) أما معنى هذين الكتابين فقد اختلف العلماء فذهب الشيخ أحمد شاكر إلى أنهما حسيان وذهب غيره على أنهما غير حسيين، فالله قادر على كل شيء وقد جاء جبريل على هيئة رجل إلى رسول الله ﷺ ثم ذهب الصحابة ليردوه إلى رسل الله ﷺ فلم يجدوا شيئاً، وهذان الكتابان «نبذ بهما» كما جاء في الرواية أي اختفيا فجاءه من يريه ﷺ فكيف يكون حسياً وقد حوى أسماء أهل النار وأسماء أهل الجنة من يوم أن خلق الله الأرض وما عليها إلى قيام الساعة... والله أعلم. (انظر: جامع الأحاديث القدسية للضبابطي ١/ ١٤٥ ـ ١٤٦).

وإذا ما اعترض معترض وقال: علم الله السابق في الأزل بالآجال والأرزاق يجعل الإنسان مجبور على معاصيه أو طاعته.

فيجيب على هذا السؤال الهام العلماء الأفاضل منهم فضيلة شيخ الإسلام ابن القيم في شفاء العليل[1] ومن هذه الأجوبة:

١ ـ لو لم يكن سبحانه عالماً لما يكن إلهاً. فبصفته ﷻ إلهاً فهذا مستلزم لعلمه وقدرته وإرادته التي ليس كمثلها شيء.

٢ ـ أن الله ﷻ أعطى الإنسان إرادة وعقلاً وقدرة على الفعل أو الترك ـ بعلم الله وقدرته ـ ومن ثم يحاسب على هذا الفعل أو الترك، فلم يجعله ﷻ كالحيوان الذي لا يحاسب لأنه لا يملك عقلاً ولا قدرة ولا إرادة.

٣ ـ بين له ﷻ طريق الخير والشر كالمحجة البيضاء، فأرسل الرسل وأنزل الكتب وبين وفصل ووعد وزجر ﷻ وفي هذا تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

٥ ـ أما الحديث الخامس فهو من الأحاديث الصحيحة الذي تلقته الأمة بالقبول ـ كما قال العلماء ـ وهو أحد الأحاديث النووية، وفيه الإشارة أيضاً إلى أن علم الله سابق في الأزل، ثم يأمر الله الملكين حين يكون الجنين في بطن أمه فيكتبان رزقه وعمله وأجله وشقي أم سعيد، دلالة على أن كل شيء بقدر.

وهذا الحديث قد يحتج به على القضاء والقدر، فما دام الإنسان مكتوب عليه الشقاوة والسعادة فلم العمل؟!. لذا فقد أفاض العلماء في بيان هذا ونخلص من هذا البيان إلى الفوائد التي منها:

---

(١) انظر: شفاء العليل ٩١/١ وما بعدها، ١٢٧/٢، ٢٥٩، خرّج نصوصه مصطفى الشلبي، مكتبة السوادي.

١ ـ أن العبرة بباطن العبد وصلاحه وإخلاصه، فإن كان باطنه حسناً نظيفاً خالصاً لله كان من أهل السعادة بإذن الله وكتب له حسن الخاتمة، فقد يكون مذنباً أمام الناس ولكنه يخشع ويبكي ويستشعر في خلوته بينه وبين الله أو تكتب له توبة قبل مماته فيموت بحسن الخاتمة ويكون من أهل الرضى والعكس صحيح، فإن العبرة كما يقول شيخ الإسلام: بصدق النهاية لا بسوء البداية. وقد على هذا ما ورد في الصحيحين عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ التقى هو والمشركون وفي أصحابه رجل لا يدع شاذة ولا فارة إلا تبعها يضربها بسيفه فقالوا: ما جزاء منا اليوم أحد كما جزاء فلان، فقال رسول الله ﷺ: «هو من أهل النار»، فقال رجل من القوم: أنا أصاحبه فأتبعه، فجرح الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه على الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على نفسه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، وقص عليه القصة، فقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار» رواه البخاري رواية إنما الأعمال بالخواتيم، فقوله فيما يبدو للناس إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك وأن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس.

وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره فتوجب له حسن الخاتمة[١].

وهذا يدل عليه الحديث السادس والسابع. وهو أن الله ﷻ كتب كتاباً قدر فيه كل شيء وأن علم الله تعالى ﷻ سابق في الأزل.

○○○○○

(١) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٥٤.

الإيمان بالقضاء والقدر وحلاوة الإيمان

إن للإيمان بالقضاء والقدر والرضا بهما حلاوة وطلاوة يجدها المؤمن في قلبه وروحه، وهذا ما يمثله حديث رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وما ذلك إلا للمؤمن»(١). فهو يعلم أولاً أن ما أصابه لم يكن ليخطأه، وأن ما هو مكتوب آت، فليس له حيلة في دفع ضر أو جلب نفع، فيلجأ إلى الاستسلام والرضا وهو حقيقة الإسلام فيحمد الله ﷻ دوماً وأبداً خاصة وهو يعلم يقيناً أن الجزع لا ينفع بل ومن وراءه الوزر والغضب، فلم لا يسلم أمره لله ويحصل علاوة على هذا الثواب والأجر العظيم.

وصدق تعالى إذ يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. وقد ذكر ابن عبد البر أن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ كتب إلى الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ فقال: إن الله لا يطالب خلقه بما قضى عليهم وقدّر، ولكن يطالبهم بما نهاهم عنه وأمر، فطالب نفسك من حيث يطالبك ربك والسلام)، ثم قال ابن عبد العزيز: وردنا أن الناس لما خاضوا في القدر بالبصرة اجتمع مسلم بن يسار ورفيع أبو العالية فقال أحدهما لصاحبه: تعال حتى ننظر فيما خاض الناس فيه هذا الأمر قال: فقعدا ففكرا فاتفقا رأييهما أنه يكفي المؤمن من هذا الأمر أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله عليه، وأنه مجزى بعمله(٢).

---

(١) الحديث رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم ٧٣٩٤.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ١/١٨.

إن الرضا أعلى مقامات المقربين وهو كما قال الغزالي: إن العلم الذي يورث حال نهاية التوكل والطريق الموصل إليه هو العلم بصفات الله وأسمائه.

الرضا هو العلم بكمال صفات الله تعالى وجمالها وجلالها فيما حكم به في الأزل من شقاء وإسعاد وتقريب وإبعاد وشدة وإرخاء، وهذا العلم بعينه يوجب التسليم والتفويض[1].

قد قيل في معنى قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه: إن رضى الرب سبحانه سبب لرضا العبد من الله ورضا العبد بالله ومن الله، سبب لرضا الله عن عبده والرضا الأول ذاتي لتعلقه بتخصيص الإرادة والرضا الثاني فعل لأنه ثواب الله يفيضه على عبده الراضي زيادة على جزائه ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ فإن الخشية ملاك الأمر والباعث على كل خير[2].

قواعد هامة ملخصة في القضاء والقدر:

١ ـ لا بد عند الإيمان بالقضاء والقدر من الإيمان بمراتب أربعة هي:

- **المرتبة الأولى**: إثبات علم الله الشامل بكل شيء جملة وتفصيلاً.
- **المرتبة الثانية**: الإيمان بأن كل ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة مكتوب في اللوح المحفوظ.
- **المرتبة الثالثة**: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.
- **المرتبة الرابعة**: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله وقد خلق سبحانه حركاتها وسكناتها.

٢ ـ أن سبق المقادير بالسعادة والشقاء لا يقتضي ترك الأعمال بل يوجب الاجتهاد والحرص لأنه تقدير بالأسباب.

---

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للعراقي ٩/٦٤٦.

(٢) المرجع السابق ٩/٦٤٨.

٣ ـ أن كون الله ﷻ عالماً بما سبق في علمه سبحانه بسعادة العبد أو شقاءه من مقتضيات كونه إلهاً وربّاً، أو لا بد من كونه سبحانه إلهاً أنه يعلم كل شيء فلا حجة لمن احتج بعلم الله السابق على ترك العمل.

٤ ـ أن الإيمان بالقضاء والقدر يقتضي تقسيم الإرادة إلى شرعية وكونية، فكل ما يقع في الكون يريده الله تعالى ولكنه يحب الخير والإيمان ويرتضيه ويكره الشر والكفر ولا يرتضيه.

٥ ـ أن الاحتجاج القدر لا يجوز في الحاضر والمستقبل بمعنى أن يكون الإنسان مرتكباً للمعصية في الحال أو ناوياً الاستمرار عليها مستقبلاً، أما الاحتجاج به في الماضي على أمر قد كان بشرط التوبة والندم والعزم على عدم العودة فاحتج بالقدر بعد التوبة وترك معاودته فينفع هنا الاحتجاج بالقدر لأنه لا يدفع بالقدر أمراً ولا نهياً ولا يبطل به شريعة(١).

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن القيم بين من يترك الدعاء والتذلل بين يدي الله تعالى اعتراضاً على أن كل منقدر كان سواء سأل العبد أو لم يسأل بأن المقدر قُدِّر بأسباب، ومن أسبابه الدعاء، فلم يُقَدَّر مجرّداً عن سببه، ولكن قُدِّر بسببه، فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور، ومتى لم يأتِ بالسبب انتفى المقدور. وهذا كما قدر الشبع والريّ بالأكل والشرب، وكذلك قدر حصول الزرع بالبذر، وكذلك قُدِّر حصول الزرع بالبذر، وكذلك قَدَّر دخول الجنة بالأعمال، ودخول النار بالأعمال(٢).

٦ ـ أن قدرة المخلوق (الاستطاعة) عند أهل السنة والجماعة تنقسم إلى قسمين:

---

(١) انظر: شفاء العليل ص٣٢، دار الكتب العلمية، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير حديث: «حج آدم موسى».

(٢) الداء والدواء ص٢٢ ـ ٢٣، تحقيق علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، وانظر: شرح الطحاوية ٢/٣٥٩.

قدرة قبل الفعل (قدرة ذاتية في البشر)	قدرة مع الفعل (خارجية إلهية)
متعلقة بالصحة والوسع والتمكين وسلامة الآلات وبها يتعلق الخطاب الشرعي فلا يكلف الإنسان إلا بما يستطيع كصلاة المريض وتسمى (مصحح للفعل) وتحصيل للمطيع والعاصي وتبقى إلى حين الفعل وتصلح للضدين أي الفعل والترك.	كالإعانة من الله ﷻ والتوفيق منه على الشيء للمؤمنين دون العاصين وتسمى (مرجح للفعل) وهي حقيقة القدرة وزائدة على العبد مثل الإسماع، الإبصار، وإدراك ما يسمع وإدراك ما يبقصر لقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠].

وعلى هذا فالنوع الأول ثابت عند البشر حتى الكافر والنوع الثاني خاص بالمؤمنين (قدرة إلهية زائدة وهي التوفيق والإعانة من الله).

٧ ـ تدخل مسألة في القضاء والقدر عند أهل السنة وهي مسألة تكليف ما لا يطايق وقد فصّلوا فيه على وجهين:

١ ـ ما لا يقدر على فعله لاستحالته هو نوعان:

- الممتنع عادة (كالمشي على الوجه).
- الممتنع في نفيه (كالجمع بين الضدين).

٢ ـ ما لا يقدر عليه لا لاستحالته ولا للعجز عنه، ولكن لتركه والاشتغال بضده مثل: تكليف الكافر بالإيمان في حال كفره، فهذا مكلف بالإيمان ولكنه تركه واشتغل بضد الإيمان وهو الكفر.

فهذا جائز التكليف فيه لأنه من التكليف الذي اتفق المسلمون على وقوعه.

٨ ـ ترتبط مسألة أخرى في هذا الموضوع وهو معنى الظلم وقد اختلف الحكم عند كل فرقة بحسب تعريف الظلم.

أما أهل السنة فقد عرفوا الظلم لغة: بأنه وضع الشيء في غير موضعه.

وعليه فإن الله تعالى حكمه عدل يضع الأشياء في مواضعها المناسبة لها، لا يفرق بين متماثلين، ولا يساوي بين مختلفين، والظلم الذي تنزه الله عنه يشمل:

- أنه لا يحمل المرء سيئات غيره.
- لا ينقص من حسناته.
- لا يعذبه بما لم تكسب يداه.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢].

وهو سبحانه قادر على الظلم وإنما استحق الحمد والثناء لأنه ترك الظلم وهو قادر عليه، والمدح إنما يكون بترك المقدور عليه لا بترك الممتنع، فهو يعاقب في موضعه، ويُثيب في موضعه، وإثابته المطيع فضل منه وإحسان: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»[١].

ولو عذَّب أهل سماواته وأرضه لما كان ظالماً لهم لأن طاعات العبد كلها لا تساوي نعمة واحدة من نعم الله ومن ثم فلا ينجو أحد إلا بمغفرة الله ورحمته[٢].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ص٤٩٠، والترمذي في سننه، حديث رقم ٢٤٩٠، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٧٥.

(٢) انظر فيما سبق: شرح الطحاوية بتصرف، ترتيب خالد فوزي ٢/ ١١٠١ ـ ١١٠٦، ١١٢٣ ـ ١١٢٧.

المبحث الثالث

الإيمان بالرُسل

۞ الحديث القدسي:

عن عمرو بن جرير قال: سمعت أبا هريرة عن النبي ﷺ قال: «انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أُرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أُدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أُقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أُقتل»(1).

۞ الأصل العقدي:

الإيمان برسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ركن من أركان الإيمان وأن الله سبحانه قد اصطفاهم واختارهم لحمل الأمانة وأداء الرسالة من بين سائر خلقه، وبلغهم كلامه ليبلغوه إلى الناس ويبلغوا شرعه ودينه وأحكامه فتصلح بهم الدنيا ويُنشر بهم الدين.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقد أمر الله في كتابه العزيز بالإيمان بالرسل في آيات كثيرة منها قوله. تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ

---

(1) أخرجه البخاري ١/ ١٥، والإمام مسلم برواية أخرى ٣/ ١٤٩٥، والنسائي ٨/ ١١٩.

وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

ففي هذه الآيات قرن الله الإيمان بالرسل بالإيمان به سبحانه وبملائكته وكتبه، وحكم بكفر من فرق بين الله ورسله فآمن ببعض وكفر ببعض، وبعث الرسل نعمة من الله على البشرية، لأن حاجة البشرية إليهم ضرورية فلا تنتظم لهم حال ولا يستقيم لهم دين إلا لهم»(١).

وعليه فالحاجة إلى الرسل ماسَّة لأن بهم يبين الحق من الباطل فهم يخبرون الناس عن حقيقة ربهم ويعرفونهم على أسمائه وصفاته وعظمته وقدرته وملكوته، ثم يعلمونهم العبادة الصحيحة، ويبشرون بالجنة وينذرون ويخوفون من النار، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فهم حجة الله على خلقه، ودليلهم إلى الله جاؤوا بكلمة واحدة ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

۞ معجزات الرسل:

وقد أيد الله سبحانه الرسل بمعجزات تبرهن عن صدقهم لأن ما يدعون إليه منهج تغييري لكل أوضاع الجاهلية، وبالإيمان بهم ينتقل الإنسان من حياة الظلام والكفر إلى حياة النور والإيمان من أجل هذا أيدهم الله بهذه المعجزات ليؤمن من آمن عن بيّنه واقتناع.

وبعث كل رسول بمعجزة يفهمها قومه ويدركوا قوتها لأن كل نبي يُبعث بما اشتهر أو بدع في قومه.

فموسىٰ عليه السلام بُعث بقلب العصا إلى حية وغير ذلك لأن قومه فشا فيهم السحر.

---

(١) صالح الفوزان، الإرشاد، صحيح الاعتقاد ص١٥٣.

وعيسى عليه السلام بدع قومه في الطب فبعثه الله بإحياء الموتىٰ وإبداء الأكمة ولا برص وغير ذلك.

وبعث محمد ﷺ إلى أهل البيان واللغة بالقرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

معجزة نبي الله هود عليه السلام:

وأحب أن أوضح في هذه العجالة أن نبي الله هود عليه السلام لم يُبعث بمعجزة مادية حسية إنما بُعث بمعجزة معنوية كما ذكر الطحاوي وهي من أخفى آيات الرسل ومع هذا فبينته من أوضح البينات لمن وفقه الله لتدربها وقد أشار إليه بقوله: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٦].

فهذا من أعظم الآيات أن رجلاً واحداً يخاطب أمة عظيمة بهذا الخطاب غير جزع ولا خزع ولا خوار، بل هو واثق بما قاله جازم به فأشهد الله أولاً على بداءته من دينهم وما هم عليه إشهاد واثق به معتمد عليه معلم لقومه أنه وليه وناصره وغير مسلط لهم عليه، ثم أشهدهم إشهاد مجاهر لهم بالمخالفة أنه بريء من دينهم وآلهتهم التي يوالون عليها ويعادون عليها، ثم أكد ذلك عليهم بالاستهانة بهم واحتقارهم وازدرائهم، ولو يجتمعون كلهم على كيده ثم يعاجلونه ولا يمهلونه لم يقدروا على ذلك إلا ما كتبه الله عليه[1].

وانظر إلى قوله ﷺ لهم: «ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها» ولم يقل ما من إنسان أو عبد أو كائن، كأنه يشير إلى شدة احتقارهم في نفسه لكونهم لم يؤمنوا بالله فهم كالدواب لا يعقلون ولا يساوون عنده شيئاً ثم يقول شارح الطحاوية:

فأي آية وبرهان أحسن من آيات الأنبياء ﷺ وبراهينهم وأدلتهم[2].

١ ـ إن هذا من صفاتها وليس حداً فيها، وإذا اعتبر خرق العامة حداً فيها وضابطاً فإن ابن تيمية يرىٰ وجوب تقييد الكلام بقول خوارق العادات التي تختص بالأنبياء، أو خوارق عادات الناس كلهم غير الأنبياء.

٢ ـ أن وصف المعجزة بأنه خارق للعامة وصف لا ينضبط لاشتراكه بين ما يظهر على أيدي الأنبياء وبين ما يظهر على غيرهم، فما يعتاده قوم قد لا يعتاده قوم غيرهم، لذلك اعتبر ابن تيمية العادة أمراً إضافياً نسبياً.

٣ ـ أن معنى وصف المعجزة بأنها خارقة للعادة أنها ليست معتادة للآدميين، أي تكون خارقة لعادة غير الأنبياء مطلقاً بحيث تختص بالأنبياء ولا توجد إلا مع نبوتهم.

---

(١) شرح الطحاوية ١/٣٢٥ ـ ٣٢٦، شرح وتقريب خالد فوزي.

(٢) المرجع السابق.

٤ ـ أن الأفضل في إطلاق التسمية على ما يظهر على أيدي الأنبياء هو إطلاق لفظ الآيات والبينات والبراهين، لأنها أسماء تدل على المقصود، وتختص بالأنبياء وحدهم، واسم الآية والبينة والبرهان اسم مطابق لمسماه لا ينتقض.

أما لفظ المعجزة والخارق للعادة فلم توجد لا في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ، لذلك الأولىٰ عدم إطلاق هذه التسمية، وإطلاق لفظ: آية وبينة وبرهان كما أطلقها السلف الصالح رضوان الله عليهم.

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

١ ـ الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع.

٢ ـ الإيمان بمن علمنا اسمه منهم مثل: محمد وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولوا العزم من الرسل وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً.

٣ ـ تصديق ما صحَّ عنهم من أخبارهم.

٤ ـ العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ[١].

وأحب بعد ذلك أن أعرض لمسألة (الفرق بين النبي والرسول) ورغم أنها ليست من أصول العقائد إلا أنه قد وقع فيها الاختلاف كثيراً وانتشر بين الناس فروقاً غير صحيحة لذا أحببت التوضيح.

إن الثابت والواضح أنّ هناك فرقاً بين النّبي والرّسول وأنّهما ليسا مترادفين، بل بينهما عموم وخصوص، فالرّسول أخصّ من النّبي، ولما كان الأخص يُشترط فيه ما لا يُشترط في الأعم فقد قيل في الشرط الذي يختص به عن الأعم أقوال. فمن هذه الشروط:

---

(١) انظر: شرح ثلاثة أصول لفضيلة الشيخ محمد العثيمين ﷀ ص٩٧، ٩٨.

١ - **الكتاب المنزل**، فالنبي الذي لم ينزل عليه كتاب، ويدعو إلى كتاب من قبله، أما الرسول فهو الذي أنزل عليه كتاب.

٢ - دين المرسل إليهم، فمن أرسل إلى الكفار كان رسولاً، ومن أرسل إلى المؤمنين كان نبياً.

٣ - طريق الوحي، فالرسول أوحي إليه عن طريق الملَك والنبي من يأتيه خبر نبوته عن غير طريق الملَك.

٤ - نوع الشرع فمن أوحي إليه بشرع جديد فهو الرسول ومن أوحي إليه لتقرير شريعة من قبله فهو النبي.

٥ - التبليغ وهذا الشرط هو المعروف المتداول ولكنه ليس صحيحاً، فالرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بالتبليغ والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بالتبليغ.

أما التعريف الراجح فنذكره من خلال قول ابن تيمية في النبوات:

فالنّبي هو الذي يُنبّئُه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليُبلّغَه رسالة من الله فهو رسول، وأمّا إذا كان إنّما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرْسَلْ هو إلى أحد يُبَلّغَهُ عن الله رسالة، فهو نبيّ وليس برسول... فالأنبياء يُنبّئهم الله فيُخبِرهم بأمره ونهيه وخبره، وهم يُنبّئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله من الخبر، والأمر والنّهي، فإن أرسلوا إلى كفّار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده ولا بدّ أن يُكذّب الرّسُل قوم فإنّ الرّسل تُرسل إلى مخالفين فيُكذّبهم بعضهم... فقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ دليل على أنّ النّبي مُرسل، ولا يُسمّى رسولاً عند الإطلاق، لأنّه لم يُرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنّه حق كالعالم، ولهذا قال النّبي ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء».

وبالنّظر في كلام ابن تيمية السّابق يتّضح **أنّه حدّد الفرق بين النّبي والرّسول من ناحيتين:**

النّاحية الأولى: من حيث نوع الشّرع الذي أوحي إلى المبعوث أشرع جديد هو أم شرع سابق.

النّاحية الثانية: من حيث دين المُرسل إليهم هل هم كفار أم مؤمنين فيكون تعريف الرّسول من النّاحية الأولى هو: من بعثه الله بشرع جديد ـ كنوح عليه السلام ـ أو بدون شرع جديد (شرع سابق) كيوسف عليه السلام والنّبي هو: من بعثه الله لتقرير شرع سابق كالمبعوثين ما بين آدم ونوح عليهما السلام.

وأمّا على النّاحية الثّانية فالرّسول: من أرسله الله إلى الكفّار المكذّبين المعاندين.

أمّا النّبي: من أرسله الله إلى المؤمنين.

ويُؤخذ من كلام شيخ الإسلام قاعدة **(أن من تبلّغ بأمر معيّن لا يُبلّغ وإنّما يُدعى إليه)** لأنّه مجهول فيما أتى به هذا المبلغ، وإنّما كان من المُرسل إليهم التّقصير في الأمر الذي يعرفونه.

وهو أقرب التّعاريف إلى الصّواب ولكن يُضاف إليه في تعريف الرّسول إضافة إلى الأمرين الّذين ذكرهما شيخ الإسلام وهي:

١ ـ من أوحي إليه بشرع جديد.

٢ ـ من أوحي إليه بشرع سابق (قديم) ولكنّه بالنّسبة إلى المُرسل إليهم جديداً.

يُضاف أيضاً:

٣ ـ أو هو من أوحي إليه بإلزام المبعوث فيهم تعاليم الشّريعة السّابقة التي غيّروها أو نسوها أو بعضاً منها.

٤ ـ أو هو من أوحي إليه بنسخ بعض أحكام هذا الشّرع القديم. **هذا هو تعريف النّبي الرّسول.**

فهو إذاً:

إنسان حر ذكر أوحي إليه، يُرسل إلى **قوم مخالفين أو كافرين** ويدعو النّاس إلى شرع معه ويُكذِّبه بعض قومه ويخاصمونه، وهو مأمور بالتّبليغ والإنذار، وقد يكون معه كتاب وقد لا يكون وقد يكون شرعه جديداً وقد يكون مكملاً لشرع سابق، وقد يكون مبعوثاً لمن غير أو نسي شريعة من قبله أو مبعوثاً بنسخ بعض أحكام الشّرع القديم.

۞ أمّا تعريف النّبي فهو:

من أوحي إليه بشرع سابق، والتّأكيد على أمّته التي لم تنكره ولا شيئاً منه بلزومه والعمل به.

وعلى هذا **فالنّبي** هو: إنسان حر ذكر يوحى إليه يبعث في قوم مؤمنين يحكم بشريعة سابقة له يدعو إليها ويحيها، ويُؤمر بالتّبليغ والإنذار وقد يكون معه كتاب.

وممّا سبق يتبيّن ما يلي:

يُنظر أوّلاً إلى نوع الشّرع عند التحديد بالنّبوّة أو الرّسالة فإذا كان الشّرع جديداً فهذا نبي رسول (ولا خلاف).

۞ أمّا من أتى بشرع قديم فيُنظر إلى حال قومه:

أ ـ إذا كان هذا الشّرع القديم جديد بالنّسبة إليهم، لا جديداً في نفسه فهو في هذه الحالة نبي رسول. ومثال ذلك: إسماعيل عليه السلام إذ بَعَث لجرهم وكان إسماعيل عليه السلام على شرع أبيه الخليل إبراهيم عليه السلام.

ب ـ إذا القوم غيّروا هذا الشّرع السّابق فبدّلوه، أو نسوه أو بعضاً منه، فالمبعوث فيهم نبي رسول. مثال على ذلك: يوسف عليه السلام.

ج ـ أو أتى المبعوث فيهم بنسخ بعض أحكام الشّريعة السّابقة فهو نبي رسول.
مثال ذلك: عيسى عليه السلام فقد نسخ بعض أحكام التّوراة وأقرّ أكثرُها.
ومن ثمّ فالوحي إليه: دعوة النّاس إلى لزوم ما هم عليه ممّا لم ينسخ، وتبليغهم ما نسخ ودعوتهم إلى الأخْذ بالنّاسخ وترك المنسوخ.

◇ **الخلاصة:**

فمن لم يأتِ بشرع جديد يُعتبر نبياً رسولاً ولكن بشرط وجود أحد القيود السابق ذكرها.

وإن كان القوم لم يُنكروا هذا الشّرع القديم ولا شيئاً منه فيُطْلق على المبعوث فيهم نبي فقط مثال ذلك المبعوثون ما بين آدم ونوح عليهما السلام وبعد هذا أنبّه فأقول:

إنّ هذه الأقوال لا تنطبق انطباقاً كاملاً على حالة كلّ رسول ونبي إذ قد تُوجد حالات لبعض الأنبياء والمرسلين ـ عليهم أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم ـ ذكرها القرآن تُخالف قواعد هذه الأقوال إذ لم تكن التّعريفات جامعة مانعة، بيد أنّ أصحاب تلك الأقوال اجتهدوا فيها من باب التّقريب معتمدين على استقراء أحوال الأنبياء والرّسل ولكن تحديد الفرق بين النّبي والرّسول لا نستطيع الجزم به لإختلاف العلماء فيه اختلافاً كثيراً ظاهراً.

إضافة إلى أنّ البحث عن الفروق الدّقيقة لا يُفيد المسلم بشيء في دينه لأنه لا يتعلق بشيء من قواطع الدّين وضرورياته فلا يهم المسلم إن كان هذا المُرسل رسولاً أم نبيّاً إنّما الواجب علينا الإيمان بهم جميعاً علمنا أسماءهم أم لا والتّصديق بما جاءوا به من عند الله تعالى وهذا هو الإيمان الإجمالي[١].

وبعد بيان هذه المسألة أحب أن أوضح أيضاً مسألة أخرى متعلقة بالإيمان بالرُسل وهي مسألة العصمة.

---

(١) انظر فيما سبق: د. أحمد ناصر آل حمد: النبي والرسول ص٥٤، ط١٤١٤هـ، مكتبة القدس، وانظر: دراسات في النبوة والرسالة، عبد العزيز العسكر ص٨٥ وما بعدها.

عصمة الأنبياء

الأنبياء والرسل هم صفوة الخلق ونخبة البشر اصطفاهم الله ﷻ وبعثهم سفراء إلى الناس وقدوة لهم مبشرين ومنذرين وحجة لهم.

قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] وإذا كان الأمر كذلك فالرسل والأنبياء هم صفوة الخلق، لذا لزم أن يكونوا المثل الأعلىٰ في نواحي الكمال والقدوة المثلىٰ، وأن يكملوا بأرفع الصفات البدنية والمعنوية الموجبة لنفرة الناس وتباعدهم عنهم، كما لزم أن يكونوا معصومين من الذنوب والآثام والأشياء المخلة بالمرؤه.

علماء العقيدة وأهل السنة والجماعة فصّلوا في صفات الرسل ومنها العصمة أو الأمانة لأن الرسول مؤتمن علىٰ ما يبلّغ.

۞ معنىٰ العصمة في اللغة:

فلان عصمني من فلان: منعني، فالعصمة المنع.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٤٣] يعني يمنعني، وعندما نقول اعتصم فلان بالله أي امتنع به.

واعتصمت بالله: يعني امتنعت بلفظه من المعصية.

۞ العصمة في الاصطلاح:

عرّ منها أهل السنة والجماعة بتعريفات متعددة أهمها تعريفين.

التعريف الأول: لشيخ الإسلام ابن تيمية يقول:

هي حفظ الله تعالى للأنبياء بخاصة من تغير الفطرة مطلقاً ومن الخطأ فيما يبلغون عنه ـ تعالى ـ من وحي ومن قصد الوقوع في المعصية(١).

التعريف الثاني: للشهاب الخفاجي يقول:

هي لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للإبتلاء(٢).

۞ الفرق بين التعريفين:

شيخ الإسلام يؤكد على العصمة في التبليغ والتعمد في الوقوع في المعصية والفرق: هل حفظ الله فيه حمل للنبي على ذلك؟ ليس هناك فرق في التعريف إلا التأكيد على العصمة في التبليغ عند ابن تيمية، وهذا ما أكد عليه علماء أهل السنة.

تجب العصمة في الأمور الآتية.

۞ ١ ـ العصمة في التبليغ:

وهو معنى كون النبي أميناً فيما أمر بتبليغه فلا يكتم شيئاً إلا أن الأنبياء والمرسلين مبلغين عن الله ولم يختارهم الله إلا لأجل أن يبلغوا عنه ما أراد فإن لم يفعلوا هذا ففيه تنافي لحكمة الرسالة.

من هنا قال الله تعالى لنبيه ﷺ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

وأيضاً هدّد الله سبحانه أهل الكتاب باللعن والعذاب لكتمانهم ما جاء من البينات والهدىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٢٨٩.

(٢) انظر: العقيدة الإسلامية د. محمود أحمد خفاجي ص١٠.

﴿بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩] وإذا كان الأمر كذلك في شأن أهل الكتاب فما بالنسبة للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

۞ ٢ ـ العصمة في العيوب والصفات المنفّره:

بعث الله أنبيائه ورسله لأن يدعو الناس إلى الطريق المستقيم ويبلغوا ما أنزل الله إليهم من أمور الدين، فمن طبيعة مهمتهم أن يجتمعوا إلىٰ الناس ويحاوروهم ويجادلونهم لذلك لا بد أن يسلم الأنبياء والرسل من الصفات التي تسبب نفور الناس منهم.

۞ فمن تلك الصفات:

١ ـ الغلظة والقسوة. قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وهي صفة معنوية.

٢ ـ البرص والجذام (من الأمراض البدنية الحسية) ينفران الناس عن من أصيب بهما، فلا يصح أن يكون من أرسل من الله تعالى مصاباً به لذا فإن ابتلاء الله لأيوب عليه السلام ليس كما ورد إلينا في بعض التفاسير التي لم تخلُ من الإسرائيليات، وإنما هو نقص في المال والأولاد وابتلاه أيضاً بالمرض العادي. لأن ابتلاءه بالدود كما قيل كذبٌ وافتراء تتنافىٰ مع النبوة. وكذلك ما نُسب إلى موسىٰ عليه السلام.

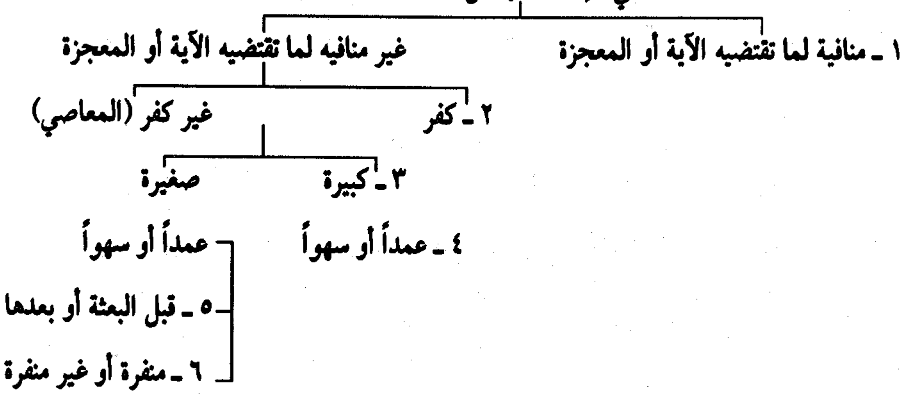
۞ ٣ ـ العصمة من الذنوب والمعاصي:

وهذا فيه تعضيل لعلماء العقيدة وتقسيمات لكن قبل الدخول في هذه التفصيلات نقول:

١ ـ المعاصي: إما أن تكون منافيه لما تقتضيه الآية أو المعجزة أو لا.

٢ ـ المعاصي: إما أن تكون كفراً أو غير كفراً أو غير كفر، والنوع الثاني أما أن يكون كبيرة أو صغيرة، والصغيرة قد تكون منفرة للنفوس كسرقة حبة أو لقمة أو لا تكون، وكل ذلك إما أن يصدر عنه عمداً أو سهواً أو قبل البعثة أو بعدها.

المعاصي: إذاً نناقشها من خلال النقاط التالية:



وسنناقش كل أمر على حدة.

أولاً: عصمة الأنبياء عما ينافي ما تقتضيه الآية (المعجزة):

كالكذب فيما أمر بتبليغه أو كتمانه فهذا كبيرة ومعصية.

ما الفرق بينه وبين قتل النفس؟ نقول: أن الكذب والكتمان ينافي الآية (المعجزة).

كل علماء العقيدة ومنهم السلف أتفقوا على عدم جواز وقوع ذلك منهم عمداً.

أما سهواً: قال أهل السنة لا تقع منهم حتى سهواً.

وهذا هو الصحيح: أنه لا يجوز وقوع ذلك منهم سهواً كما أنه لا يجوز منهم عمداً، لأن من دلالة الآية أو المعجزة أن لا يصدر من النبي ما يخالف مقتضاها ـ كما نعلم ـ لأنه صادق في دعواه (النبوة) وفي جميع ما يبلغه عن الله، فلو كذب ولو سهواً لصدقته الآية أو المعجزة في ذلك على أنه خلاف الواقع.

نضرب لذلك **مثالاً**: أنه لو حكم سهواً أن الربا حلال أليس مقتضىٰ الآية أو المعجزة أنه صادق في هذا الحكم فيلزم حينئذٍ تصديق الكاذب وهذا باطل والتفريق في ذلك بين الكذب عمداً وسهواً لا يستند إلى دليل، إذاً دلالة الآية أو المعجزة تبطل بصدور الكذب منه سهواً كما تبطل بصدور الكذب منه عمداً، وبما أن العصمة من ذلك مبنية علىٰ دلالة الآية أو المعجزة على صدقهم، علمنا أنها تجب لهم بعد البعثة لا قبلها.

إذاً (عمداً وسهواً بعد البعثة لا قبلها).

ثانياً: عصمة الأنبياء عمداً ينافي مقتضىٰ الآية أو المعجزة:

وهي قسمين: ١ ـ كفر. ٢ ـ غير كفر (المعاصي).

١ ـ **أما الكفر**: فقد اتفق العقل والنقل على أن الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الكفر أو الشرك، فقد فطرهم رب العالمين على معرفته والاتجاه إليه وحده، ولم يعرف من أي واحدٍ منهم كفر أو شرك قبل أن ينبئهم الله يصطفيهم.

الدليل من العقل:

١ ـ أن العقول السليمة تأبىٰ أن تنقاد لداعي التوحيد والإيمان إن كان قد عُرف منه قبل وبعثته كفر أو شرك.

٢ ـ كما أن كفار الأمم قد رموا أنبياءهم بالسحر والجنون وغير ذلك من النقائص، ولكن لم يرموهم بالشرك أو الكفر، وهم حريصون ـ أي الكفار ـ على تجريح النبي بما ينتقص من قدره ويحط من شأنه لينفروا الناس ويصرفوهم عنه.

وهذا دليل واضح على عدم كفر أي نبي أو رسول قبل البعثة بالله تعالى.

الدليل من النقل:

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [الأحزاب: ٧ ـ ٨].

المثياق الذي أخذه الله على الأنبياء أن يبلغوا الرسالات ويدعوا إلى عبادة الله ودين الحق، وأن يصدِّق بعضهم بعضاً ويبشر به، وهذا أُخذ منهم حينما كتب الله في الأزل كل ما هو كائن.

لذا قال مجاهد: أنه كان في عالم الذرة (يعني والعباد مثل الذر الصغير).

ووجه الاستدلال:

من هذه الآية: أن الله إذا عهد إليهم قبل ظهورهم بتبليغ دينه وعبادته وتوحيده فكيف يصدر عنهم ما يخالف هذا الميثاق قبل النبوة أو بعده.

فالخلاصة: أن الأمة أجمعت على عصمة الأنبياء من الكفر أو الشرك قبل البعثة وبعدها وذلك لأنهم مرسلون من قبل الله تعالى فلا يجوز عقلاً ولا نقلاً أن يكفروا به، كما لا يجوز عقلاً أن يصطفي الله أنبيائه ممن يكفرون به تعالى الله عن ذلك.

٢ ـ وأما غير الكفر (المعاصي): أي عصمة الأنبياء من المعاصي فهي أيضاً قسمين:

۞ ١ ـ الكبيرة (بعد البعثة):

(عمداً) سهواً.

قال جمهور أهل السنة وغيرهم أن الأنبياء معصومون من الكبائر بعد البعثة عمداً وسهواً.

◌ ٢ ـ الصغيرة (بعد البعثة):

فإذا كانت في الصغائر الخسيسة (أو صغائر الخسة) أو المنفرة وهي التي تلحق فاعلها بالأراذل من الناس (كسرقة حبة أو لقمة) فإنه لا خلاف بين علماء العقيدة ومنهم السلف بوجوب عصمتهم منها سواء عمداً أو سهواً.

وإذا كانت من الصغائر في الخِسة ففيه خلاف.

أما رأي أهل السنة والجماعة والذي ندين به والذين عليه الناس:

أن نثبت العصمة من الإقرار بالذنوب بمعنى أن الذنب يجوز صدوره من النبي إلا أنه لا يقر عليه، إنما ينبهه الله فينتبه فيتوب إلى الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

هذا فيما صدر منهم سهواً.

أما عمداً: فلا يصدر فالنبي معصوم عن الإقرار عما ليس عمداً من الذنوب وإذا اعترض أحد فقال:

أن الذنوب تنافي الكمال أو فيها قبح يتنزه عنه النبي والرسول؟!

نقول: إنها الذنوب التي يقر عليها صاحبها هي التي تنافي الكمال والنبي إذا أُقر له بذنب فينتبه ولا يستمر عليه بعد الإقرار.

◌ عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر قبل البعثة:

١ ـ الكبيرة والصغيرة قبل البعثة فقد قال: جمهور أهل السنة والأشاعرة وبعض المعتزلة أنه لا يمتنع صدور الكبائر والصغائر قبل البعثة.

واحتجوا أن العقل لا يدل على امتناعها منهم قبلها، وكذلك لم يرد دليل سمعي على ذلك بل قد ورد في القرآن الكريم ما يدل على وقوعها منهم قبل البعثة كما حدث في قصة موسىٰ.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ﴾ [القصص: ١٥].

لذلك قال موسىٰ بعدها: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ . . .﴾ [القصص: ١٥].

والرأي المختار الذي عليه أهل السنة في عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر هو:

١ ـ أن الأنبياء معصومون من الكبائر بعد البعثة عمداً وسهواً.

٢ ـ ومعصومون من الإقرار على الصغائر بعد البعثة (تقع منهم لكن لا يقرون عليها).

٣ ـ وإذا وقعت منهم صغيرة أو ذنب فإنهم ينبهون على ذلك فينتهون ويتوبون والتائب من الذنب كن لا ذنب له.

٤ ـ **أما قبل البعثة فإنهم غير معصومين من الكبائر والصغائر** اللهم إلا فيما ينفر الطباع عن اتباعهم في رسالتهم.

فالأصل جواز وقوع ذلك منهم لأن هذا لا يخل بحكمة البعثة ولا يعرقل تأدية واجبهم كما يدعي نفاة الذنوب مثل الشيعة وجمهور المعتزلة[1].

والله تعالى أعلىٰ وأعلم.

○○○○○

(١) راجع فيما سبق: مجموع الفتاوى ١٠/٢٨٩ ـ ٣١٣.

ثمرات الإيمان بالرسل

وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

١ ـ العلم برحمة الله وعنايته بعبادة، حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى.

٢ ـ شكره تعالى على هذه النعمة الكبرىٰ.

٣ ـ محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى ولأنهم قاموا بعبادته وتبليغ رسالته حق التبليغ[١].

(١) انظر: العثيمين: شرح ثلاثة أصول ص٩٩.

محتويات البحث